

الباب السابع والعشرون

الثورة والتجديد

الفصل الأول

الخطر الأبيض

الزراع من آسية وأوربا - البرتغاليون - الأسبان -
الهلنديون - الإنجليز - بحارة الأفيون - حروب الأفيون -
- فتنة بنج تاي - منح - حرب المابان - محاوله تمزيق
الصين - « الباب المقسوح » - الإمبراطورة الوالدة -
إصلاحات كوانج شو - عزاء - الملا كون - العرامة الحربية

أخذت هذه القوى شكل الانقلاب الصناعي . فقد نشطت أوربا وتجدد شبابها على أثر كشف القوى الآلية واستخدامها في صنع الآلات ومضاعفة الإنتاج . وما لبثت أوربا أن وجدت نفسها قادرة على إنتاج سلع أرخص من التي تنتجها أية أمة أو قارة ، ظلت تعتمد على الصناعات والحرف اليدوية ، وعجزت أوربا عن تصريف منتجات آلاتها بين سكانها لأنها كانت تؤدي لعمالها أجوراً أقل من بعض الشيء من القيمة الكاملة لجهودهم ، واضطرت من أجل ذلك إلى البحث عن أسواق خارجية لتصرف فيها ما زاد من منتجاتها على حاجتها ، فكان لا بد لها أن تستعمر ودفعها الاستعمار إلى الحروب . وأصبح القرن التاسع عشر ، بحكم الظروف القائمة فيه وبدافع الاختراعات الكثيرة التي تعاقبت في خلاله ، لا ينقطع فيه النزاع بين ما كان في آسية من حضارة قديمة ناضجة منهوكة ، وما قام في أوربا الصناعية من حضارة فتيمة ، قوية منهومة .

وكان الانقلاب التجارى الذى حدث فى أيام كولب هو الذى أفسح الطريق. ومهد السبيل للانقلاب الصناعى ، فقد كشف الرحالة عن أراضى قديمة ، وفتحوا ثغوراً جديدة ، ونقلوا إلى الثقافات القديمة منتجات الغرب وأفكاره . وكان البرتغاليون المغامرون فى أوائل القرن السادس عشر قد استولوا على جزائر ملقا ، وكاوا من قبل قد ثبتوا أقدامهم فى بلاد الهند ، ثم طافوا حول شبه جزيرة الملايو ، ووصلوا بسفائنهم الجليلة ومدافعهم الرهيبه إلى كانتون (١٥١٧) .

وكان أولئك القادمون خلقاً متوحشين لا يخضعون لقانون ، وبعدون كل الشعوب الشرقية فريسة مشروعة مباحة لهم ، ولم يكونوا يفترون إلا قليلاً عن القراصنة ... إن كان بين هؤلاء وبينهم فرق على الإطلاق^(١) . ، وعالمهم الصينيون معاملة القراصنة فألقوا بممثلهم فى السجن ، ورفضوا ما عرضه عليهم من تجارة حرة ، وكثيراً ما طهر الصينيون الغضاب الحانقون الأحياء التى استقر فيها البرتغاليون بذبح ساكنيها . ولكن البرتغاليين أعانوا الصينيين على قتال غيرهم من القراصنة ، فكان جزاؤهم على هذه المعونة أن منحهم بيكين حق الإقامة فى مكاو وحكمها كأنها ملك لهم ، فسادوا فى تلك المدينة مصانع كبيرة. لصنع الأفيون ، وأجازت لهم أن يستخدموا فى هذه المصانع الرجال والنساء والأطفال . ودرت عليهم هذه الصناعة أرباحاً عظيمة يكفى لمعرفة مقدارها أن نقول إن مصنعاً واحداً كان يعود على الحكومة البرتغالية التى أنشئت فى هذا الإقليم بربح مقداره ١٥٦٠,٠٠٠ دولار فى كل عام^(٢) .

ثم جاء الأسبان وفتحوا جزائر الفلبين فى عام ١٥٧١ واستقروا فى جزيرة فرموزا الصينية ؛ وأعقبهم الهولنديون ، وفى عام ١٦٣٧ أقبلت خمس سفن إنجليزية وصعدت فى النهر إلى كانتون ، وأسكتت بمدافعها القوية المدافع التى قاومتها ، وأنزلت فى المدينة بضائعها^(٣) . وعلم البرتغاليون الصينيين شراء الدخان وشربه ، ثم بدأ فى مستهل القرن الثامن عشر استيراد الأفيون من الهند إلى الصين . وجرمته

الحكومة الصينية على الشعب تعاطى الأفيون ، ولكن عادة تعاطيه انتشرت انتشار النار في الهشيم حتى بلغ ما استورد منه إلى الصين في عام ١٧٩٥ أربعة آلاف صندوق^(*) . وحرمت الحكومة استيراده في تلك السنة وكررت هذا التحريم في عام ١٨٠٠ ولجأت إلى المستوردين وإلى الأهلين على السواء تبين لهم ما لهذا المخدر القوي من أثر في إصعاف حيوية الأمة . ولكن تجارة الأفيون لم تنقطع رغم هذا التحريم ، ولم تكن رغبة الصينيين في شرائه أقل من رغبة الأوروبيين في بيعه ، ولم يهد الموظفون حرجاً في تناول الرشاوى التي كانت تقدم إليهم ليتفاوضوا عن أوامر التحريم بل كانوا يتقبلونها شاكرين .

وأصدرت حكومة بيكين في عام ١٨٣٨ أمراً بتشديد في تنفيذ قرار تحريم استيراد الأفيون ، وجاء موظف قوي يدعى لن تره — شو فأسر من في كاتون من المستوردين الأجانب أن يسلموا ما في مخازنهم منه . فلما أبوا حاصر الأحياء الأجنبية وأرغمهم على أن يسلموه عشرين ألف صندوق من هذا المخدر ، ثم أقام في كاتون شبه حفلة أفيونية أتلف فيها هذه الكمية كلها . وعلى أثر هذا انسحب البريطانيون إلى هنج كنج وبدأت « حرب الأفيون » الأولى . وقال الإنجليز إن الحرب لم تكن حرب أفيون ، بل كان سببها أنهم غضبوا لما أظهرته الحكومة الصينية من قحة وغطرسة في استقبالها ممثلهم أو برفضها استقبالهم ، وما وضعته أمامهم من عقبات في صورة ضرائب باهظة ومحاكم فاسدة مرتشية أقامت القوانين والعادات الصينية تعطل بها تجارة منظمة مشروعة . وأطلقوا المدافع على المدن الصينية التي كان في وسعهم أن يصلوا إليها من الشاطئ ، وأرغموا الصين على طلب الصالح باستيلائهم على مصب القناة الكبيرة عند شنكيانج . ولم تذكر معاهدة نانكينج شيئاً عن الأفيون ، وتحلت الصين بمقتضاها عن هنج كنج إلى

(*) يمكن تقدير ثمن هذه الكمية إذا ذكرنا أن قطعة من الأفيون يتسع لها جيب صديريّة للرحل يبلغ ثمنها ثلاثين دولاراً .

البريطانيين ، وأرغمت الصين على تخفيض الضرائب إلى ٥ ٪ ، وفتحت للتجارة الأجنبية خمسة « ثغور معاهدات » (كانتون ، وأموى ، وفوتشو ، وتنجيو ، وشنغهاي) ، وفرضت على الصين غرامة حربية لتغطية نفقات الحرب وما أتلفته من أفيون ، واشترطت أن يحاكم الرعايا البريطانيون في الصين ، إذا اتهموا بمخالفة قوانين البلاد ، أمام محاكم بريطانية^(٥) . وطلبت عدة دول أخرى منها الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا أن تطبق هذه « الامتيازات الأجنبية » على تجارها ورعاياها المقيمين في الصين وأجيببت إلى طلبها .

وكانت هذه الحرب بداية انحلال النظام القديم . ذلك أن الحكومة خذلت أشد الخذلان في نزاعها مع الأوربيين ، فقد سخرت منهم أولاً ، ثم تحذتهم بعدئذ ، ثم خضعت لهم آخر الأمر ، ولم تقد الألفاظ الظريفة المرسولة في إخفاء الحقائق عن الوطنيين المتعلمين أو الأجانب المتربصين .

وسرعان ما ضعف سلطان الحكومة في كل مكان تسربت إليه أخبار هزيمتها ، وما لبثت القوى التي كانت من قبل صامتة خاضعة — والتي كانت تظل صامتة خاضعة لولا هذه الهزيمة — ما لبثت هذه القوى أن ثارت علينا على حكومة بيكين . من ذلك أن وطنياً متحمساً يدعى هونج سيو — شوان ، بعد أن تعلم طرفاً من البروتستنتية وتراءت له بعض الخيالات الوهمية ، اعتقد في عام ١٨٤٣ أن الله قد اختاره ليظهر الصين من عبادة الأوثان ويحولها إلى المسيحية . وبعد أن بدأ هونج عمله بهذه الدعوة المتواضعة تزعم آخر الأمر حركة ترمي إلى القضاء على أسرة المنشو الحاكمة وإيجاد أسرة جديدة هي أسرة التاي بنج أي السلم العظيم ، وحارب أتباعه حرب الأبطال البواسل يحدوهم التعصب الديني من جهة والرغبة في إصلاح الصين على غرار الدول الأوروبية من جهة أخرى ، وحطموا الأصنام ، وقتلوا المخالفين من الصينيين ، وأتلفوا كثيراً من دور الكتب والجامع العلمية القديمة ومصانع الخزف القائمة في چينج ده — چن ، واستولوا على نانكنج وظلت في

أيديهم اثنتي عشرة سنة (١٨٥٣ - ٦٥) ، وزحفوا على بيكين وزعيمهم من خلفهم في مأمن من الأعداء منغمس في ترفه وملذاته ؛ ولكمهم هزموا وتشتتوا لعجز قادتهم ، وارتدوا إلى أحضان إخوانهم مئات الملايين الصينيين^(٦) .

وبينا كانت فتنة تاي — پنج الصماء تمزق الصين وتقطع أوصالها اضطرت الحكومة إلى مواجهة أوروبا مرة أخرى في « حرب الأفيون » الثانية (١٨٥٦ - ١٨٦٠) . وكان سببها أن بريطانيا العظمى ، تعاونها فرنسا والولايات المتحدة معاونة تقوى تارة وتضعف تارة أخرى ، طلبت إلى الصين أن تجعل تجارة الأفيون تجارة مشروعة (وكانت هذه التجارة قد ظلت قائمة بين الحربين رغم ما صدر من الأوامر بتحريمها) ، وأن تسمح لها بالدخول في مدن جديدة غير التي كانت قد سمح لها بدخولها ، وأن يستقبل الرسل الغربيون بما يليق بهم من التكريم في بلاط بيكين . فلما رفض الصينيون هذه المطالب استولى البريطانيون والفرنسيون على كانتون ، وأرسلوا حاكمها مقيداً بالأغلال إلى الهند ، واقتحموا حصون تيننسين وزحفوا على العاصمة ، ودمروا القصر الصيفي انتقاماً لما نال مبعوثي الحلفاء من تعذيب وقتل على يد الصينيين في بيكين . وأملى الغزاة الظافرون على المهزومين معاهدة فتحت لهم بمقتضى شروطها ثغور جديدة كما فتح نهر چنج — دزه للتجارة الأجنبية ، وحددت طريقة لاستقبال الوزراء الأمريكيين والأوربيين في الصين على قدم المساواة مع الوزراء الصينيين ، ووضعت الضمانات القوية لسلامة المبشرين والتجار الأجانب والسماح لهم بممارسة نشاطهم في جميع أجزاء الصين ، وأخرجت البعثات التبشيرية من اختصاص المحاكم والموظفين . وزادت في امتيازات أبناء الأمم الغربية وتحررهم من الخضوع لقوانين البلاد ، وأعطت بريطانيا قطعة من الأرض مقابلة لهنج كنجج ؛ وجعلت استيراد الأفيون عملاً مشروعاً ، وفرضت على الصين غرامة حربية لينفق منها على إخضاعها لسلطان الغربيين وتدريبها على أساليبهم .

وشجعت الأمم الأوروبية انتصاراتها السهلة فأخذت تقطع من الصين قطعة بعد قطعة ، فاستولت روسيا على الأراضي التي تقع في شمال نهر عامور وشرق نهر الأوسورى (١٨٦٠) ، وانتقم الفرنسيون لموت أحد المبشرين بالاستيلاء على الهند الصينية (١٨٨٥) ، وانقضت اليابان على جارتها ومصدر حضارتها وأثارت عليها حرباً فجائية (١٨٩٤) ، وهزمتها بعد عام واستولت على فرموزا وحررت كوريا من الصين لتستولى عليها هي فيما بعد (١٩١٠) ، وفرضت على الصين غرامة حربية تبلغ ١٧٠٠٠٠٠٠٠٠ دولار لما سببته لها من متاعب حجة^(٧) .

ومنعت روسيا اليابان أن تستولى على شبه جزيرة لياتنج على أن تؤدى الصين إلى اليابان غرامة إضافية ، فلما انقضت ثلاث سنين من ذلك الوقت استولت روسيا نفسها على شبه الجزيرة وأقامت فيها عدة حصون منيعة . وكان مقتل اثنين من المبشرين على يد الصينيين سبباً في استيلاء ألمانيا على شبه جزيرة شانتنج (١٨٩٨) ، ثم قسمت الدولة الصينية التي كانت تحكمها من قبل حكومة قوية إلى « مناطق نفوذ » تستمتع فيها هذه الدولة الأوروبية أو تلك بامتيازات في التعدين أو التجارة لا تشاركها فيها غيرها من الدول . وخشيت اليابان أن تقسم الصين تقسيماً حقيقياً بين الدول الغربية ، وأدركت شدة حاجتها إلى الصين في مستقبل الأيام ، فانضمت إلى أمريكا وطالبت الدولتان بسياسة « الباب المفتوح » ، أى بحق الدول جميعاً في الاتجار مع الصين على قدم المساواة رغم اعترافها بالدول في الصين من « مناطق نفوذ » ، على أن تكون الضرائب الجمركية ونفقات النقل واحدة لجميع الدول على السواء . وأرادت الولايات المتحدة أن تضع نفسها في مركز يمكنها من أن تساوم على هذه المسائل ، فوضعت يدها على جزائر الفيلين (١٨٩٨) وأعلنت بعملها هذا عزمها على أن تشترك في النزاع القائم من أجل الاتجار مع الصين .

وفي هذه الأثناء كان فصل آخر من الرواية يمثل وراء جدران القصر الإمبراطورى في بكين . ذلك أنه لما دخل الحلفاء عاصمة الصين ظافرين في

نهاية « حرب الأفيون » الثانية (١٨٦٠) فر الإمبراطور الشاب شيان فننج إلى جيهول حيث توفي، بعد عام واحد من ذلك الوقت وترك العرش لابنه البالغ من العمر خمس سنين ، فما كان من زوجة الإمبراطور الثانية أم ذلك الغلام إلا أن استولت على مقاليد الحكم وتسمت باسم تزه شي— وعرفها العالم باسم الإمبراطورة الوالدة — وحكمت الصين حكماً طيباً صارماً مجرداً من الرحمة دام جيلاً كاملاً . وكانت هذه السيدة في شبابهها قد حكمت البلاد بقوة جمالها ؛ أما الآن فقد حكمتها بقوة إرادتها . ولما مات ولدها عند بلوغه سن الرشد (١٨٧٥) لم تبعاً الإمبراطورة بالسوابق ولم تأبه بالمعارضين وأجلست على العرش غلاماً قاصراً— جوانج تشو — واستبقت مقاليد الحكم في يدها . وحافظت هذه الإمبراطورة الجريئة على السلام . في بلاد الصين نحو ثلاثين عاماً مستعينة على ذلك برجال من دهاقين السياسة أمثال لي هونج — چانج ، وأرغمت الدول الجشعة على أن تحسب للصين بعض الحساب . فلما أن انقضت اليابان على الصين نجاة ، وأسرعت الدول الأوربية إلى تقطيع أوصال البلاد تقطيعاً جديداً بعد انتصار اليابانيين عليها ، قامت في عاصمة الصين حركة قوية تطالب بأن تحذو حذو اليابان التي أخذت بأساليب الدول الغربية — أى أن ت جيشاً قوياً ، وأن تنشئ المصانع وتهد الطرق ، وأن تحاول الحصول على الثروة الصناعية التي مولت بها اليابان وأوربا حروبهما الظاهرة . وقاومت الإمبراطورة ومستشاروها هذه الحركة بكل ما لديهم من قوة ، ولكن جوانج تشو انضم إليها سراً ، وكان قد أذن له أن يتربع على العرش وأن يكون إمبراطوراً بحق . فلم تشعر الإمبراطورة ومستشاروها إلا وقد أصدر جوانج إلى الشعب الصيني (في عام ١٨٩٨) من غير أن يستشير « بوذا العجوز » (وهو الاسم الذي كانت حاشية الإمبراطورة تطلقه عليها) عدة مراسيم عجيبة لو أن البلاد قبلتها وعملت بها لسارت سيراً حثيثاً سلمياً في طريق الأخذ بأساليب الغرب ونظمه ، ولحال أخذها بها دون سقوط الأسرة المالكة وتدهور الأمة في هاوية الفوضى والشقاء .

فقد أمر الإمبراطور الشاب بإقامة نظام جديد للتعليم، وإنشاء مدارس لا يقتصر التعليم فيها على كتب كنفوشيوس وأتباعه القدماء، بل تدرس فيها أيضاً الثقافة الغربية في العلوم والآداب والفنون الصناعية؛ وشجع على إنشاء الطرق وإصلاح الجيش والبحرية، وكان يهدف بهذا إلى الاستعداد لمواجهة «الأزمة» المقبلة على حد قوله هو «لأننا محاطون من كل ناحية بجيران أقوى يريدون بختلهم أن يظفروا بنا، ويحاولون بتألبهم علينا أن يغلبونا على أمرنا»^(٨). وهال الإمبراطورة الوالدة أن يصدر الإمبراطور هذه المراسيم التي رأت فيها تطرفاً لا تحمد مغيبته، فسجنت جوانج شو في أحد القصور الإمبراطورية، ونقضت مراسيمه، وقبضت بيدها مرة أخرى على أزمة الحكم في الصين.

وبدأ في ذلك الوقت رد فعل عنيف ومعارضة قوية لجميع الأفكار الغربية اتخذتها الإمبراطورة الداهية عوناً لها على الوصول إلى أغراضها. وكان بعض العصاة قد أقاموا في البلاد جماعة تعرف باسم أي هو — جوان؛ أي قبضات التوافق الصالحة. ويطلق عليهم المؤرخون اسم «الملاكين» (البكسر). وكانت هذه الجماعة تهدف في الأصل إلى خلع الإمبراطورة والأسرة المالكة. ولكن الإمبراطورة أفلحت في إقناع زعمائها بأن يوجهوا هذه الحركة وقوتها لمقاومة الغزاة الأجانب بدل أن يوجهوها لمقاومتها هي. وقيل للملاكين أن يصدعوا بأمرها ونادوا بإخراج جميع الأجانب من بلاد الصين، وجرفهم تيار الوطنية العارمة فشرعوا يذبحون المسيحيين بلا تفرق بين الطيب منهم والخبيث في كثير من أنحاء الصين (١٩٠٠). فما كان من الجيوش المتحالفة إلا أن زحفت مرة أخرى على بيكين، وكان زحفها في هذه المرة لحماية مواطنيها الذين استولى عليهم الرعب فاخبتوا في أركان دور السفارات الأجنبية. وقررت الإمبراطورة وحاشيتها إلى شيانغو، وانقضت جيوش إنجلترا وفرنسا وروسيا وألمانيا واليابان والولايات المتحدة على المدينة، وأعلنت فيها السلب والنهب،

وقتل كثيراً من الصينيين انتقاماً منهم لمواطنيها ، وخربت كثيراً من الممتلكات القيمة أو نهبتها^(٥) . وفرض الحلفاء على عدوهم المهول المغلوب غرامة حربية مقدارها ٣٣٠٠٠٠٠٠٠٠ دولار يجمعها الأوربيون من المكوس المفروضة على الواردات الصينية وعلى احتكار الملح . على أن جزءاً كبيراً من هذه الغرامة قد رفعته فيما بعد الولايات المتحدة ؛ وبريطانيا العظمى ، والروسيا ، واليابان ، عن الصين . وكانت هذه الدول تشتري عليها عادة أن تدفق الأموال التي نزلت عنها على تعليم الطلبة الصينيين في جامعات الدول التي كانت هذه الأموال من حقها . وكان هذا منها عملاً كريماً كان له من الأثر في تحطيم الصين القديمة أقوى مما كان لأي عمل آخر بمفرده في الصراع التاريخي المرير بين الشرق والغرب .

(٥) ويقول الكپتن برنكلي في ذلك . « بما بمشعر منه بدن كل شخص أبيض أن يعلم أن أربعين من النساء المبشرات وخسة وعشرين من الأطفال دبجهم الملاكون ، ولكن سمائة وسماً وثلاثين من نساء الطمقات العلبا في الصين قد انتحروا في تونجشاو وحدها مفضلين هذا الانتحار على الحياة بعد ما لاقوا من عار ومذلة ، مع أن الصينيين لم يبدوا أية مقاومة في هذه المدينة ولم يقع فيها قتال ما » .

الفصل الثاني

حضارة تموت

طلبة الفرانسة الحربية - تشر بهم بالحضارة الغربية - أثرهم في
تعمك الوحدة الصينية - عمل المنشرين - صون يات - صن
المسيحي - معامراته في شبابه - التنازه - لي هونج - چانج -
تديره للثورة - نجاحهما - يوآن ثي - كاي - موت صون
بات - صن - الفوضى والنهب - الشيوعية - « الشمال
يهدأ » - جيانج كاي - شك - اليابان في منشوريا - شنغهاي

وغادر « طلبة الفرانسة » وآلاف غيرهم من الطلبة بلاد الصين ليرتادوا
حضارة الغزاة الفاتحين . فذهب كثيرون منهم إلى إنخاترا ، وذهب أكثر من
هؤلاء إلى ألمانيا ، وأكثر من هؤلاء وأولئك إلى أمريكا ، وأكثر منهم جميعاً
إلى اليابان . وتخرج في جامعات أمريكا وحدها مئات منهم في كل عام ، وكانوا
يأتون إلى هذه الجامعات وهم صغار السن سريعو التأثر قبل أن تنضج عقولهم ،
فيدركوا ما تنطوى عليه حضارتهم القومية من عمق ومالها من قيمة ، وارتوا وهم
شاكرون معجبون من معين التربية الجديدة التي قدمت لهم ، ومن علوم الغرب
وأساليبه وأفكاره ، وأدهشهم ماشاهدوه حولهم من وسائل الراحة والحياة النشيطة
القوية ، ومن حرية الأفراد في بلاد الغرب ، وما تستمتع به الشعوب من حقوق .
ودرسوا الفلسفة الغربية وفقدوا إيمانهم بدين آباؤهم ، وسرهم أن يكونوا مصالحين
متطرفين يشجعهم في ذلك من لغوهم علومهم وحضارتهم ، كما تشجعهم بيئتهم
الجديدة على نبذ جميع العناصر التي تتكون منها حضارة بلادهم . ورجع إلى الصين
في كل عام آلاف من هؤلاء الشبان الذين انتزعوا من بيئتهم في حداثة سنهم
وهم حاقنون على تأخر بلادهم المادى وخطوها البطيء في سبيل الحضارة الغربية
وبذروا في كل مدينة دخلوها بذور البحث والثورة على القديم .

وأعاتهم على غرضهم سلسلة من الحوادث والظروف ، منها أن التجار والمبشرين الذين غزوا الصين من الغرب قد ظلوا قرابة جيلين مراكز للعدوى الغربية أرادوا هم ذلك أو لم يريدوه ، فقد كان طراز معيشتهم وأساليب متعتهم وراحتهم مما بعث في نفوس من حولهم من شباب الصين رغبة قوية في أن ينالوا حظا من هذه الحضارة الراقية . وكان هؤلاء التجار والمبشرون رغم قلتهم قد قوضوا بنشاطهم العقيدة الدينية التي كانت دعامة القانون الأخلاقي القديم ؛ وأثاروا شبان البلاد على شيوخها بدعوتهم إلى نبذ عبادة الآباء ؛ ومع أنهم كانوا يدعون إلى دين عيسى المسالم الوديع فقد كانوا إذا تازمت الأمور تحميمهم مدافع تهرب الشرق بضخامتها وقوتها وتخضعه لسيطرة الأوربيين . لقد كانت المسيحية في أول نشأتها ثورة المظلومين على الظالمين ، وها هي ذى قد عادت في يد معتنقيها من شباب الصين عاملا من عوامل الثورة .

وكان زعيم الثورة ممن اعتنقوا المسيحية . ذلك أن أحد المستأجرين من الزراع القاطنين قرب كانتون قد ولد له في عام ١٨٦٦ ولد مشاغب سماه العالم فيما بعد — في سخرية غير مقصودة — صون يات — صن ؛ أى الشمس جنية السكينة^(١٠) . واعتنق صون المسيحية وقوى إيمانه بها فاندفع يحطم أصنام الآلهة في معبد قريته . وكان لهذا الغلام أخ له أكبر منه سنا هاجر من قبل إلى جزائر هاواي ، فجاء بأخيه الأصغر إلى هنولولو وأدخله مدرسة يديرها راهب من أتباع الكنيسة الإنجليزية ويسير التعليم فيها بالأساليب الغربية البحتة^(١١) . ولما عاد صون إلى الصين التحق بالكلية الحربية البريطانية فكان أول من تخرج فيها من الصينيين .

وكانت هذه الدراسات من أكبر الأسباب التي أفقدت الرجل كل ما كان في قلبه من العقائد الدينية ، كما كانت الإهانات وضروب الإذلال التي يلقتها هو وأبناء وطلعه في الجمارك التي يسيطر عليها الأوربيون وفي الأحياء الأجنبية من

ثغور المعاهدات مما أوغر صدره وجعله يفكر في الثورة . وكان عجز الحكوما الفاسدة الرجعية عن أن تقي الصين العظيمة مذلة الهزيمة على يد اليابان الصغيرة ، وتجزئة البلاد بين الدول الأوربية لأغراضها التجارية ، مما أشعره بالمذلة وملاقبته حقداً وضعيفة على تلك الحكومة ، فاعتقد أن أول خطوة يجب عليه أن يخطوها في سبيل تحرير الصين هي أن يقضى على أسرة المنشور .

وكانت أولى حركاته شاهداً حقا على ثقته بنفسه ، ومثاليته ، وبساطته . ذلك أنه ركب سفينة تجارية دفع أجرها من ماله الخاص وسار بها مدى ألف وستائة ميل نحو الشمال ليعرض على لي هونج — چانج نائب الملكة الوالدة مشروعاته التي تهدف إلى إصلاح أحوال البلاد واستعادة عزها وكرامتها . فلما رفض هذا الحاكم مقابلته بدأ حياة كلها مفاصمات وتجوال لجمع المال الذي يؤجج به نار الثورة الصينية ، ولقى معونة من كثير من النقابات التجارية والجمعيات السرية القوية التي كان قادتها يحسدون الطبقة الحاكمة الأرستقراطية ، ويتوقون إلى إقامة نظام للحكم يكون فيه للطبقات الحديثة من أرباب المصانع والمتاجر شأن يتناسب وثروتهم المتزايدة : ثم غادر الصين وأبحر إلى أمريكا وأوربا يجمع للمال القليل من ملايين الغساليين وآلاف التجار الصينيين . فلما جاء إلى لندن اعتقلته المفوضية الصينية دون سند قانوني أو شككت أن ترسله سراً إلى الصين مكبلاً بالأغلال بحجة أنه خائن لحكومته ، ولم ينجه إلا مبشر بمن علموه في صباه ، فنبه الحكومة البريطانية وتدخلت هذه في الأمر وأنقذته . وظل خمسة عشر عاماً أخرى ينتقل من مدينة إلى مدينة في جميع أنحاء العالم ، وجمع في تجواله مليونين ونصف مليون من الدولارات ليمول بها الثورة ، ويلوح أنه لم ينفق شيئاً من هذا المال على نفسه . ثم جاءته على حين غفلة في أثناء تجواله رسالة تنده أن قوات الثورة استولت على الجزء الجنوبي من بلاد الصين ، وأنها بسبيل الاستيلاء على شمالها ، وأنها اختارته رئيساً مؤقتاً للجمهورية الصينية . وبعد بضعة أسابيع من

ذلك الوقت رست السفينة التي أقلته في هنج كنج التي لقي في ثغرها المذلة منذ عشرين عاماً على يد الموظفين البريطانيين .

وكانت الإمبراطورة الولدة قد قضت نجبتها في عام ١٩٠٨ بعد أن دبرت موت الإمبراطور السجين جوانج شو قبل موتها بيوم واحد ، وخلفها على العرش بويسى ابن أخى جوانج ، وهو الآن إمبراطور منشوكو^(٥) . وأدخلت الحكومة الصينية في أواخر حكم الإمبراطورة الولدة وأوائل حكم خليفتها الطفل كثيراً من ضروب الإصلاح التي تهدف إلى تجديد البلاد وصبغها بالصبغة الغربية الحديثة ؛ فمدت الطرق الحديدية مستعينة في الغالب برؤوس الأموال الأجنبية وبخبرة الأجانب وإشرافهم ، وألغى نظام الامتحان للتعيين في المناصب الحكومية ، وأنشئ نظام جديد للتعليم ، ودعيت جمعية وطنية لتجتمع في عام ١٩١٠ ، ووضع مشروع يستغرق تنفيذه تسع سنين يهدف إلى إقامة حكومة ملكية دستورية ، وينتهي بتعميم حق الانتخاب بعد أن يتدرج خطوة خطوة مع انتشار التعليم العام في البلاد . وجاء في المرسوم الذى أعلن به هذا المنهج ما يأتى : « كل تسرع في إدخال هذه الإصلاحات سيؤدى في النهاية إلى ضياع كل ما بذل فيها من جهود »^(١٣) . ولكن الثورة لم تكن لتوقف تيارها هذه النوبة التي جهرت بها الأسرة المريضة وهى على فراش الموت ، وألغى الإمبراطور الشاب نفسه تحيط به الثورة من كل جوانبه ، وقد تخلى عنه الجيش فلم يجد من يدافع عنه ، فلم يربداً من أن يعان تخليه عن العرش ، وأصدر نائب الإمبراطور الأمير چون مرسوماً هو أعجب ما صدر من المراسيم في تاريخ الصين كله :

إن الشعب في جميع أنحاء الإمبراطورية يتجه الآن بعقله نحو الجمهورية ...

(*) لقد كتب هذا الفصل قبل الحرب الأوربية الأخيرة ، وكانت اليابان قد غزت الصين ، واجتاحت جيوشها منشوريا ، وأقامت فيها دولة تأمر بأمرها هى دولة منشوكو ، وأجلست هذا الإمبراطور على عرشها . ولكن الحرب الأخيرة بدلت هذا كله (المترجم)

إن إرادة الله واضحة ورغبات الشعب غير خافية . فكيف أستطيع أن أعارض . رغبات الملايين الكثيرة للاحتفاظ بمجد أسرة واحدة وكرامتها ؟ ومن أجل ذلك فإنى أنا والإمبراطور نرى أن تكون الحكومة فى الصين جمهورية دستورية لإجابة لرغبات الشعب فى داخل الإمبراطورية كلها ، وعملاً بآراء الحكماء الأقدمين الذين كانوا يرون أن العرش تراث عام^(١) .

وكانت الثورة كريمة كل الكرم فى معاماتها ليو — بى ؛ فقد أمنته على حياته ومنحته قصرًا مريحًا ومرتبًا سنويًا يقوم بشئونهم ، وخليعة يسكن إليها . لقد جاء المنشور إلى الصين آساد وخرجوا منها حملانا .

وكان موالد الثورة هادئًا سلمياً ، ولكن حياتها كانت حياة عاصفة مليئة بالأحداث . فقد كان ليوان شى — كالى وهو سياسى من الطراز القديم جيش . قادر على مقاومة الثورة . وطلب أن يكون ثمن تأييده إياها أن يتولى رئاسة الجمهورية ، وأجابه صون يات — صن إلى ما طلب واعتزل الحياة العامة فى كرم وعسرة نفس ، وكان قد بدأ منذ قليل يستمتع بمنصبه الجديد . وأخذ ليوان يعد العدة لأن يجعل نفسه إمبراطوراً وينشئ أسرة حاكمة جديدة مستعينا فى عمله هذا بجماعات مالية قوية أجنبية ووطنية ؛ وحجته فى هذا أن الإمبراطورية هى السبيل الوحيدة لمنع تدهور الصين وتفككها . واتهمه صون يات — صن بالخيانة وأهاب بأتباعه أن يجددوا عهد الثورة ، ولكن ليوان مرض ومات قبل أن يصل الأمر إلى امتشاق الحسام .

ولم تعرف الصين النظام والوحدة من ذلك الحين . فقد تبين أن صون يات — صن رجل أحلام يسبح فى بيداء الخيال ، وأنه خطيب مفوه ولكنه سياسى عاجز عن تولى زمام الحكم وقيادة الأمة إلى بر السلام ، فكان ينتقل من خطة إلى خطة ومن نظرية إلى أخرى ، أغضب من عاونوه من الطبقات الوسطى بما أظهره من ميل إلى الشيوعية ، وانتهى أمره بالانزواء فى كانتون ليعلم شبابها ويبت فىهم روحه ،

ويحكم أهلها في بعض الأحيان^(١٥). وحرمت الصين من حكومة تعترف بها جميع أجزائها، ومن مملكية كانت رمز وحدتها، ونبذت عادة الطاعة والخضوع لتقاليدها وشرائعها؛ وهي من بداية أمرها ضعيفة النزعة الوطنية التي تربط النفس بالوطن كله لا بالإقليم الذي تعيش فيه، فشبت فيها نار حرب متقطعة بين الجنوب والشمال تارة، وبين طائفة وطائفة تارة أخرى، ثم بين السراة والجياع، وبين الشيوخ والشبان. وقام المغامرون يجيشون الجيوش، ويفرضون سلطانهم على الولايات النائية، يجبون منها الضرائب ويزرعون الأفيون^(١٥)، ويخرجون بجنودهم من حين إلى حين ليضموها ضحايا جدداً إلى رعاياهم المساكين. واضطربت أحوال الصناعة والتجارة وازمحلت لكثرة ما كان يفرضها عليها قائد منتصر بعد قائد. وأخذ اللصوص وقطاع الطريق يفرضون الإتاوات، وينهبون ويقتلون، لأنهم لا يجدون قوة منظمة تقف في وجههم وتضرب على أيديهم. ووجد الناس في التلصص والجنديّة وقاية لهم من الهلاك جوعاً، وكثيراً ما كان هذا القائد أو ذلك المنسرح من اللصوص يدهم أسرة مقتصدّة فيسلبها ما ادخرته طول حياتها من المال أو ما جمعه من المتاع. وحسبنا تصويراً لهذه الحال أن عدد قطاع الطريق في ولاية هونان وحدها قد بلغ في عام ١٩٣١ — ٤٠٠.٠٠٠^(١٦) أو يزيدون.

وبينا كانت هذه الفوضى ضاربة أطنابها في البلاد أرسلت روسيا في عام ١٩٢٢ اثنين من أقدر ساستها هما كرخان وچف أيضاً الصين إلى نطاق الثورة الشيوعية. ومهد كرخان لعمله هذا بنزول روسيا عملها من امتيازات في الصين، وبتوقيع معاهدة تعترف فيها بشرعية حكومة الثورة وبمركزها الدولي. ولم يجد چف الداهية صعوبة ما في أن يستميل صون يات — صن إلى الشيوعية لأن جميع السلطات الأخرى كانت قد نبذته، ولم يمض إلا وقت قصير حتى تكون جيش وطني جديد ودرب بمهونة سبعين من الضابط السوفيت. وزحف هذا

(*) ومات بيكين عام ١٩٢٥ في أحسن الفرص التي أتاحت لأعدائه المحافظين.

الجيش من كانتون إلى الشمال تحت إمرة جيانج كاي - شك أمين سر صون يات - صن السابق ، ويقوده عمليا المستشار الروسي برودين ، يخضع بلدة في إثر بلدة حتى استقر أخيراً في بيكين^(٥) . ولكن المنتصرين انقسموا على أنفسهم في ساعة النصر فخرج جيان كاي - شك على الحركة الشيوعية وأقام دكتاتورية عسكرية إجابة لرغبات رجال الأعمال والمال^(٦) .

إن الأمم كالأفراد من العسير عليها ألا تفيد من مصائب جيرانها . ومصدق ذلك أن اليابان ، التي كان ينبغي صون يات - صن أن تكون صديقة الصين وحليفها على الأمم الغربية ، والتي شجعت الثورة الصينية بنجاحها السريع في السير على النظم الأوربية في الصناعة والسياسة والحرب ، تقول إن اليابان وجدت في الفوضى التي تردت فيها معلتها القديمة فرصة سانحة لحل المشكلة التي أثارها نجاحها هي وتقدمها السريع . ذلك أن اليابان لم يكن في وسعها أن تمد من عدد سكانها دون أن تعرض سلامتها للخطر الشديد بمعجزها عن صد من تحدته نفسه بالإغارة عليها ؛ ولم يكن في وسعها كذلك أن تمد سكانها المتزايدين إلا إذا زادت مواردها بتشجيع الصناعة والتجارة ؛ وليس في وسعها أن تشجع الصناعة والتجارة من غير أن تستورد الحديد والفحم وغيرها من المواد الأولية التي لا تجدها في بلادها ، وليس في وسعها كذلك أن تنمي تجارتها وأن تفيد منها أكبر فائدة دون أن يكون لها نصيب موفور في السوق العظيمة الوحيدة التي لا تزال خارجة عن نطاق الاستعمار الأوربي الذي شمل الكرة الأرضية كلها . وكانت الصين

(*) وتغير اسم تلك المدينة من ذلك الوقت فسميت بـ «بيجينج» أي الشمال المهدأ بدل بيكينج (العاصمة الشمالية) ، واتخذت الحكومة الوطنية مقرها في فانكنج «العاصمة الجنوبية» لتكون قريبة من مواردها المالية في شنغهاي .

(**) أما الحوادث التي تلت هذا فلا تزال ماثلة في الأذهان ، فقد اندلعت نار الحرب العالمية الثانية ، وهزمت اليابان ، وزحف الشيوعيون بجيوشهم على الجنوب تغارهم روسيا السوفيتية وانتصروا على جيان كاي - شك ، وهزموا جيوش الحكومة الوطنية ، وأصبحت الصين كلها تقريبا دولة شيوعية . (المترجم)

مشهورة بكثرة ما فيها من الحديد والفحم ، ويرجى منها أن تكون في المستقبل أعظم الأسواق العالمية . وهي إلى ذلك أقرب الأسواق إلى اليابان . وهل في العالم أمة يبدو لها أن في مقدورها أن تختار بين العودة إلى الزراعة والفاقة والمذلة ، وبين التقدم في الصنعة والفتح والاستعمار ، ثم تستطيع أن تقاوم الميل الشديد إلى اختطاف جزء من الصين الضعيفة المقطعة الأوصال في الوقت الذي كانت فيه النيبور الأوربية يقطع بعضها أشلاء بعض في ميدان فرنسا^(٥) ؟

من أجل هذا أعلنت اليابان الحرب على ألمانيا في بداية الحرب العالمية الأولى ، وانقضت على إقليم چياو چو وهو الإقليم الذي كانت ألمانيا قد استأجرته من الصين قبل ذلك الوقت بستة عشر عاماً ، ثم قدمت إلى حكومة يوان شى كاي « واحداً وعشرين مطلباً » لو أجابتها الصين لأصبحت مستعمرة سياسية واقتصادية لليابان ، ولولا احتجاج الولايات المتحدة ومقاطعة الصينيين بزعامة طلابها الغضاب للبضائع اليابانية لنفذت هذه المطالب قوة واقتداراً . ذلك أن الطلاب انطلقوا في شوارع المدن الصينية ليكون أو يقتلون أنفسهم لأنهم يستحون أن يرى الناس وجوههم بعد هذا الإذلال الذي حاق ببلادهم^(١٧) .

وكان اليابانيون يستمعون وهم ساخرون إلى غضب أوروبا واحتجاجها وهي التي ظلت تنخر في عظام الصين خمسين سنة أو تزيد . وارتدت اليابان دون أن تصل إلى أهدافها ولكنها ظلت تتحين فرصة أخرى تحقق فيها أطباعها . ولاحق لها هذه الفرصة حين كانت أوروبا وأمريكا تتردبان في عواقب خططهما الصناعية الاستعمارية التي كانت تعتمد على الأسواق الأجنبية لاستيعاب « الفائض » من محصولاتها التي لا يستطيع منتجوها أن يبتاعوها . وزحفت اليابان على منشوريتها وأقامت پو يي إمبراطور الصين السابق رئيساً للجمهورية منشوكو التي أنشأتها في ربوعها ثم نصبته بعدئذ إمبراطوراً عليها . ثم عقدت مع الدولة الجديدة حلفاً

(٥) يشير المؤلف بهذا القول إلى الحرب العالمية الأولى (المترجم)

سياسيا ، ثم تغلغت فيها اقتصاديا ، وسيطرت عليها عسكريا ، وجعلت لنفسها بهذه الوسائل فيها مركزاً ممتازاً يمكنها من استغلال موارد منشوريا الطبيعية ، واستخدام أهلها ، وفتح أسواقها للتجارة اليابانية . وانضمت الدول الأوربية التي كانت قد اتفقت فيما بينهما على وقف غارات التلصص زمننا ما بعد أن جمعت كل ما تستطيع أن تجمعها من الأسلاب ، انضمت هذه الدول إلى أمريكا ، ووجهت احتجاجا ضعيفا إلى اليابان على هذا النهب الصريح ؛ ولكنها كانت في هذه المرة كما هي عاداتها في جميع الأحوال على استعداد لأن تعد النصر مبرراً للغاية .

كانت آخر مذلة لحقت بأوروبا وأمريكا هي ما أقدمت عليه اليابان في شنغهاي . ذلك أن اليابان ثارت ثائرها لما أصاب تجارتها من جراء المقاطعة الصينية ، فأنزلت جيوشها المنتصرة في أغني ثغور الصين ، واحتلت حي چاپاي ودمرته ، وأندرت الحكومة الصينية بأن توقف أعمال جمعيات المقاطعة . ودافع الصينيون عن أنفسهم دفاع الأبطال ، وقاوم جيش الطريق التاسع عشر القادم من كانتون . قوى اليابان التي كانت تفوقه عدة ونظاما ، ووقف وحده تقريبا في وجهها شهرين ، كاملين . ثم عرضت حكومة نانكينج على اليابان أن تتراضى وإياها على حل وسط ، وانسحبت اليابان من شنغهاي ، وعادت الصين تضمد جراحها ، فاعتزمت أن تضع لنفسها أساس حضارة جديدة أقوى من حضارتها السابقة وأتمن منها دعامة تستطيع أن تدفع بها العالم النهم وترد مطامعه .

الفصل الثالث

بداية عهد جديد

التغيير في القرية - وفي المدينة - المصانع - التجارة - اتحادات العمال - الأجر - الحكومة الجديدة - القومية وائتاع الأساليب الغربية - إنزال كنفوشيوس عن عرشه - مناهضة الدين - المبادئ الخلقية الجديدة - التحول في نظام الزواج - تحديد النسل - التعليم المشترك بين الذكور والإناث - « التيار الجديد » في الأدب والفلسفة - لغة الأدب الجديدة - هوشى - عناصر التدمير - عناصر التحديد

كان كل شيء في الماضى يتغير ما عدا الشرق ، أما الآن فليس شيء في الشرق لا يتغير ، وأصبحت أشد الأمم استمساكا بالتقديم أكثرها تطرفا بعد روسيا ، وأخذت تدمر عامدة عادات ونظما كانت تعدها من قبل حرما آمنا غير قابل للتعديل . فليس الأمر الآن مقصوراً على القضاء على أسرة حاكمة كما حدث في عام ١٦٤٤ بل هو اقتلاع جذور حضارة قديمة .

وقد جرت العادة أن يكون آخر التغيير وأقله في القرية ، لأن اعتدال القرية وبطء سيرها لا يشجعان على التجديد ، والجيل الجديد نفسه لا بدله أن يزرع أولائم يحصد ما زرعه فيما بعد . وأما الآن فإن سبعة آلاف ميل من الخطوط الحديدية تحترق الريف الصينى ، ولا تزال تربط القرى الشرقية بالمدن الساحلية وتحمل كل جديد من سلع الغرب إلى الملايين من بيوت الزراع ، رغم ما أصابها من الدمار في خلال الفوضى وسوء الإدارة اللذين داماعشرات السنين ، ورغم ما تحملمته من الأعباء الباهظة بسبب حاجات الحرب ومطالبها الملحة . ففي هذه القرى يرى السائح كثيراً من الواردات الأجنبية مثل الكيروسين ، ومصابيح الكيروسين ، وعيدان الثقاب ، ولفافات التبغ ؛ بل يرى فيها القمح الأمريكى نفسه . ولعل القارىء يظن أن وجود هذه البضائع والسامع في داخل البلاد أمر عادى غير جدير بالذكر ؛ والحق أن

نقلها إليها من أصعب الأمور لأن البلاد لا تزال جد فقيرة في وسائل النقل ، حتى أن نقل البضائع بين الأقاليم الداخلية والمقاطعات الساحلية يتطلب من النفقات أكثر مما يتطلبه نقلها إلى ثغور الصين من أستراليا أو الولايات المتحدة . ولقد تبين لأهل البلاد أن نمو الحضارة من الناحية الاقتصادية موقوف على سهولة سبل النقل ووسائل الاتصال . من أجل ذلك أنشئت طرق برية يبلغ طولها نحو عشرين ألف ميل تسير عليها ستة آلاف مركبة حافلة سيراً غير منتظم مملوءة على الدوام بالركاب . فإذا ما ارتبطت هذه القرى التي يحيطها الحصر بالسيارات السريعة فإن ذلك يحدث في الصين أعظم تغيير شهدته في تاريخها الطويل وهو القضاء حتى على القحط الذي طالما هدهدها وأفنى الكثيرين من أهلها .

هذا في القرى أما في الحواضر فإن انتصار الأساليب الغربية يسير بخطى أسرع وأيسر ، فالجرف اليدوية أخذت في الزوال بتأثير منافسة السلع الرخيصة السهلة النقل المستوردة من خارج البلاد . وقد تعطل لهذا السبب آلاف من الصناع ، ولكن المصانع الآلية التي أنشئت على طول السواحل بمعونة رؤوس الأموال الأجنبية والوطنية تبتلعهم ابتلاعاً سريعاً . وقد سكنت صوت الأنوال اليدوية في المدن وإن كانت لا تزال تدور في الريف ، وغمر القطن والمنسوجات القطنية أسواق البلاد ، وشيدت مصانع النسيج لتجعل من فقراء الصين عبيداً مسخرين للآلات ، وأقيمت في هانجتشواو أفران لصهر المعادن لا تقل ضخامة وروعة عن مثيلاتها في البلاد الغربية ، ووضعت مشروعات هائلة لإنشاء مخازن ومصانع لحفظ الطعام ولصنع الأسمنت والورق والصابون والشمع وتكرير السكر ، وهي تعمل رويداً رويداً على تحويل العامل الصيني اليدوي إلى صانع ومشرف على الآلات . لكن الصناعات الجديدة يعوق نموها السريع تردد أصحاب رؤوس الأموال في أن يستثمروها في بلاد لا تقطع فيها الثورات ، ويلاقون فيها صعباً جمة من جراء نقص وسائل النقل وكثرة نفقاتها وثقله المواد في داخل

البلاد ، ومن جراء تمسك الصينيين بتلك العادة الجميلة عادة الولاء للأسرة قبل الولاء لكل ما عداها من الجماعات ، والتي تجمل كل مكتب من مكاتب الموظفين . وكل مصنع معششاً للأقارب والعاجزين عن أداء عمل من الأعمال^(١٩) . والتجارة يعوقها فضلاً عن هذا ما يفرض عليها من الضرائب في داخل البلاد ومن الرسوم الجركية والرشا وضروب الاغتصاب ، وإن كانت مع ذلك تنمو أسرع من نمو الصناعة وتضطلع بدور خطير في تحويل الصين الاقتصادية^(٢٠) .

وقد قضت الصناعات الجديدة على نقابات أرباب الحرف القديمة وأحدثت كثيراً من الاضطراب والفوضى بين العمال وأرباب الأعمال . ذلك أن هذه النقابات كانت تعيش بفضل ما تبذله من الجهود لتحديد أجور العمال وأثمان البضائع بالتوفيق بين المالك والمنتجين الذين لم يكن لمنتجاتهم ما ينافسها في التجارة المحلية . فلما أن اتسع نطاق التجارة بزيادة وسائل النقل ، وجاءت البضائع من البلاد البعيدة تنافس في جميع المدن بضائع النقابات المصنوعة باليد ، تبين لها أن ليس في استطاعتها أن تشرف على الأسعار أو تحدد الأجور من غير أن تخضع في ذلك إلى أوامر المتنافسين الأجانب وإلى رهوس الأموال الأجنبية . ومن أجل هذا تفككت النقابات وتقسمت إلى غرف تجارية من جهة وإلى اتحادات العمال من جهة أخرى . فاعترف تعنى بالنظام والولاء لأصحاب الأعمال وبالحرية الاقتصادية ، والعمال يعنون بأجورهم المنخفضة التي تكاد تميمهم جوعاً . وقد كثرت الإضراب والمقاطعة ولكن هذين قد أفاحا في إرغام أرباب الأعمال من الأجانب على التسليم للحكومة الصينية ببعض الامتيازات أكثر مما أفاحا في رفع

(*) كانت بريطانيا العظمى في وقت من الأوقات هي المسيطرة على تجارة الواردات ، أما الآن فإن لها فيها نحو ١٤ ٪ وللولايات المتحدة ١٧ ٪ واليابان ٢٧ ٪ ، ولا يزال مركز اليابان في هذه التجارة يقوى عاماً بعد عام . وقد تضاعفت تجارة الصين فيما بين ١٩١٠ ، ١٩٣٠ قبلت ٦٠٠ ٪ وتقدر قيمتها بما يقرب من نصف بليون من الدولارات . غير أن الحرب المالية الأخيرة وهزيمة اليابان قد بدلتا من مركزها في هذه التجارة .

أجور العمال . وقد قدرت مصاحبة الشئون الاجتماعية التابعة لبلدية شنغهاي الصينية متوسط الأجر الأسبوعي لعمال مصانع النسيج بين ١٧٣، ٢٧٦ دولار للرجل ، وما بين ١١٠، ٢٧٨ دولار للمرأة . وكان متوسط الأجور الأسبوعية للرجال في المطاحن والمصانع ١٩٦ دولار وفي مصانع الأسمت ١٧٢ دولار ، وفي مصانع الزجاج ١٨٤ ، وفي مصانع الكبريت ٢١١ ؛ وكان متوسط أجر العمال المهرة في المصانع الكهربائية ٣١٠ وفي مصانع الآلات ٣٢٤ وبين عمال المطابع ٤٥٥^(٢٣) .

وما من شك في أن الزيادة الكبيرة في أجور عمال المطابع إنما ترجع إلى حسن تنظيمهم وإلى الصعوبة التي يعانها أصحاب المطابع في استبدال غيرهم بهم إذا توقفوا عن العمل فجأة . وتألفت أولى اتحادات العمال في عام ١٩١٩ وزاد عددها وقوتها حتى طلبت في أيام برودين أن تتولى هي حكم الصين ؛ ولكن جيانج كاي — شك كبح جماحها من غير رحمة بعد نزاعه مع روسيا ، وقد سنت لمقاومتها في هذه الأيام قوانين غاية في الصرامة ، ولكن عددها مع ذلك أخذ في الازدياد بسرعة لأنها الملاجأ الوحيد للعمال من عنيت النظام الصناعي الذي لم يعمل حتى الآن أكثر . من أن يبدأ بوضع التشريع الخاص بالعمال ، ولم يبدأ قط في تنفيذه^(٢٤) . وإن ما يعانیه صعايلك المدن في هذه الأيام من فقر مدقع وكدح يدوم اثنتي عشرة ساعة في اليوم بأجور لا تكاد تمسك الروح بالجسم ، يهددهم للموت جوعاً إذا لم يجدوا عملاً في يوم من الأيام ، إن ما يعانیه هؤلاء الصعايلك في هذه الأيام لأسوأ مما كان يعانیه فقراء القرى في الأيام الخالية حيث لم يكن يسمح للفقراء أن يروا الأغنياء ، وحيث كانوا يرضون بما قسم لهم منذ الأزل .

ولعله كان من المستطاع تجنب هذه الشرور لو أن تبدل الأحوال في شرق الصين لم يتم بغير ما تم به من السرعة ولم يبلغ ما بلغه من الكمال . إذن لكان في مقدور كبار الموظفين الصينيين ، وإن فقدوا ما كان لهم من حيوية وتلوث أيديهم بالرشوة ، أن يكبحوا جماح القوى الصناعية الجديدة حتى تتأهب الصين

لقبولها من غير أن تقع في برائن الفوضى والعبودية بإذن لنشأت من نمو الصناعة عاماً بعد عام طبقة جديدة من السكان لعلها كانت تستطيع أن تخطو بسلام إلى ميدان السلطة السياسية ، كما خطا الصناع إليها في إنجلترا وحلوا محل كبار ملاك الأراضي الزراعية .

ولكن الحكومة الجديدة ألقت نفسها بلا جيش ، ولا زعماء مجريين ، ولا مال ؛ ووجد الكومنتانج ، أى حزب الشعب الذى أنشئ لتحرير الأمة ، أن لا بد له أن يقف موقف العاجز وهويرى الأمة تخضع لروس الأموال الأجنبية والوطنية . وكان هذا الحزب قد ولد في عهد الديمقراطية ونشأ في أحضان الشيوعية ، ثم أنحى جل اعتماده على مصارف شنغهاي المالية ، فترك الديمقراطية وانحاز إلى الدكتاتورية وحاول أن يقضى على اتحادات الصناع^(٥) . ذلك أن الحزب يعتمد على الجيش ، ولا بد للجيش من مال ، والمال لا يأتي إلا من القروض ؛ وإلى أن يكون للجيش من القوة ما يمكنه من إخضاع الصين فإن الحكومة ستظل عاجزة عن فرض الضرائب على الصين ، وإلى أن تستطيع الحكومة فرض الضرائب على الصين ستظل تتلقى النصح والإرشاد من حيث تتلقى المال . على إنها مع هذا كله قد أنجزت الشيء الكثير ؛ فقد أعادت إلى الصين إشرافها التام على التعريفة الجمركية وعلى صناعاتها — داخل نطاق قوة المال العالمية — وأنشأت ودرّبت وجهزت جيشاً قد يستخدم في يوم من الأيام لقتال غير الصينيين ؛ ووسعت رقعة الأقاليم التى تعترف بسلطة الحكومة ، وقللت في هذه الرقعة من قوة قطاع الطرق الذين كانوا يجمعون على أنفاس الأمة ويكادون يقضون على حياتها الاقتصادية . وهى تسير في هذا سيراً بطيئاً لأن إشعال نار الثورة مستطاع في يوم وليلة ولكن إقامة حكومة ثابتة يحتاج إلى جيل

(٥) وقد أعدم في عام ١٩١٧ وحدها آلاف مؤلفة من الهال لانضمامهم إلى هذه الاتحادات .

وليس تفكك الصين وانقسام عرى وحدتها إلا مظهراً مما في النفس الصينية من انقسام ونتيجة لازمة له . إن أقوى ما في الصين من مشاعر في هذه الأيام هو شعور الكراهية للأجانب ، وأقوى التيارات التي تجتاح الصين هو تيار محاكاة الأجانب . والصين تعترف أن الغرب لا يستحق أن تتملقه وتحاكيه ؛ ولكن الصين يضطرها روح الأيام ودوافعها القوية إلى تملق الغرب ومحاكاته لأن الأمم في هذا العصر لا بد لها أن تختار بين التصنيع والاسترقاق ولا ثالث لهما . ومن أجل هذا نرى الصينيين في المدن الشرقية يهجرون الحقول إلى المصانع ، والثياب الفضفاضة إلى السراويل الضيقة ، ونقات الماضي البسيطة الشجية إلى موسيقى الغرب المعقدة ، ويتخلون عن ذوقهم الجميل في الثياب والأثاث والفن ، ويزيدون جدرانهم بالصور الأوروبية ، ويشيدون دور الحكومة ومكاتب الأعمال على أقباح الطرز الأمريكية . وقد تخلت نساء الصين عن عادة ضغط أقدامهن من الأمام إلى الخلف وأخذن يضغطن من اليمين إلى اليسار على آخر طراز غربي^(*) ، وأخذن فلاسفتها يتخلون عن مبادئ كنفوشيوس المعتدلة القنوعة الظريفة ويهرعون إلى مبادئ موسكو ولندن وبرلين وباريس ونيويورك الشرسة الخصيمة ، ويتلقونها بنفس الحماسة التي كان الأوروبيون يتلقون بها مبادئ النهضة في أواخر العصر الوسيط .

لقد نلّ عرش كنفوشيوس وكان في الطريقة التي نل بها شيء من سمات عصر النهضة وعصر الاستمارة ؛ ولقد كان نبذا لأرسطو الصين والآلهة التي عبدها الشعب من أقدم الأزمنة . وأتى على الدولة حين من الدهر اضطهدت فيه البوذية وطوائف الرهبان في الأديرة ، ذلك أن ثوار الصين كانوا كثوار فرنسا ملاحدة لا يخفون عن الناس إلحادهم ، ويجهرون بعبادتهم للدين ، ولا يعبدون غير

(*) تعتمد بعض الصينيات في هذه الأيام إلى وضع وسادات في أحذيتهم ليخفن عن الناس أن أقدامهن قد ضغطت في صفرهن (٣٦) .

العقل . وامل الكنفوشية كانت تترك الناس أحراراً في عقائدهم الدينية لأنها تفترض أن الآلهة ستبقى ما بقى الفقر ؛ أما الثورة فكانت تظن أن في وسعها أن تقضى على الفقر ولذلك لم تر حاجة إلى الآلهة ؛ وكانت الكنفوشية ترى أن الزراعة والأسرة هما نظام الحياة العملية والاجتماعية الطبيعية ولذلك شادت صرحاً للأخلاق يهدف إلى حفظ النظام وإشاعة القناعة في نطاق دائرة البيت والحقل ؛ أما الثورة فوجهتها الصناعة وهي في حاجة إلى أخلاق جديدة تتفق مع الحياة الفردية في الحواضر . وقد بقيت الكنفوشية لأن الوصول إلى المناصب السياسية والمهن العلمية كان يتطلب معرفة مبادئها والأخذ بها ؛ أما الآن فنظام الامتحانات قد انقضى عهده وحلت العلوم الطبيعية في المدارس محل الفلسفة الأخلاقية والسياسية ؛ وأصبح الرجل لا يصاغ للحكم بل يصاغ للصناعة ؛ وكانت الكنفوشية محافظة تكبح بحذر الشيوخ مثل الشباب العليا ؛ أما الثورة فروحا من أنفاس الشباب ولا تقبل أن يفرض عليها شيء من هذه القيود ، وهي تسخر من الشيوخ إذا رفعوا عقيرتهم محذرين : « إن الذين يظفون أن الجسور القديمة عديمة النفع ويحطمونها تحطماً سيصيبهم الدمار ويفرقهم تيار المياه الجارف » (٢٧) (٢٧) .

وقضت الثورة بطبيعة الحال على دين البلاد الرسمي ولم تعد تقرب القرابين الآن من مذبح السماء إلى التّيان الصامت الجرد . وتبجز الحكومة عبادة الأسلاف ولكن هذه العبادة آخذة هي الأخرى في الانقراض ، وينزع الرجال إلى تركها شيئاً فشيئاً للنساء وقد كانوا يظنونهم من قبل غير خليقات بهذه الطقوس المقدسة . ولقد تلقى نصف زعماء الثورة تعليمهم في المدارس المسيحية ، ولكن الثورة رغم اتماء جيانج كاي شك إلى الطائفة المسيحية النظامية (Methodism) لا تميل إلى دين يؤمن بخوارق الطبيعة وتصبغ كتبها المدرسية بالصبغة الإلحادية (٢٩) . أما

(*) انظر ص ٦٣ . وتحاول الآن حركة « الحياة الجديدة » التي يتزعمها جيانج كاي - شك أن تعيد الكنفوشية وقد نجحت في ذلك بعض النجاح .

الدين الجديد الذى يحاول أن يسد الفراغ العاطفى الناشئ من فراق الآلهة فهو دين الوطنية ، كما أن الدين الجديد فى روسيا هو الشيوعية . ولكن هذه العقيدة فى الوقت الحاضر لا ترضى كافة الناس ، ولهذا ترى الكثيرين من صماليك المدن يعمدون إلى العرافين والمتنبئين والوسطاء ليجدوا عندهم ملجأ من كدح الحياة اليومية الرتيب الذى لا لذة فيه ولا طرافة . ولا يزال القرويون يجدون بعض ما يسليهم عن فقرهم ويفرج عنهم كربهم فى سكون المزارات القديمة . والقانون الأخلاقى القديم الذى كان الناس منذ جيل واحد يظنونونه قانوناً سرمدياً لا يتبدل آخذ فى التفكك والانحلال بسرعة تتضاعف ثم تتضاعف على مدى الأيام بعد أن فقدت حماية الحكومة والدين والحياة الاقتصادية . وأهم ما طرأ على الصين من تبدل فى هذه الأيام ، إذا استثنينا ما أحدثته فيها الغزو الصناعى ، هو تحطيم نظام الأسرة القديمة لتحل محله نزعة فردية تترك كل إنسان حراً يواجه العالم بمفرده ، وقد استبدل الولاء للدولة من الوجهة النظرية بالولاء للأسرة . وإذا كان هذا الولاء الجديد لم ينتقل الآن من طور الأقوال والنظريات إلى طور الأعمال فإن المجتمع الجديد يعوزه الأساس الخلقى الذى يستند إليه . إن الزراعة يلائمها نظام الأسرة لأن الأرض ، قبل انتشار الآلات ، كانت تستغل أحسن استغلال على أيدي جماعة من الناس تربطهم رابطة الدين والسلطة الأبوية . أما الصناعة فتمزق الأسرة لأنها تعطى العمل والجزاء عليه للأفراد لا للجماعات ، ولا تعطيهن هذا الجزاء دائماً فى مكان معين ، ولا تعترف بأن للضعفاء حقاً فى مال الأقوياء ، ولا يجد التعاون والترحم الطبيعيين القائمين بين الأسرة سنداً من التنافس المرير الذى هو من طبيعة الصناعة والتجارة ؛ وترى الجديد الذى ينفرد على الدوام من سلطان الشيوخ يهرع عن عمد إلى المدينة وفردية المصنع ، ولعل سلطان الأب القوى فى الزمن الماضى قد عجل بالانقلاب لأن الرجعية هى التى يرجع إليها على الدوام إسراف المتطرفين . وهكذا انتزعت الصين نفسها من ماضيها واستأصلت

جدوره ، وما من أحد يدري هل تستطيع أن تمد لها جذوراً جديدة في وقت
يمكنها من أن تنجى بها حياتها النفاقة .

وكذلك أخذت أساليب الزواج القديم تزول بزوال سلطان الاسرة . نعم
إن معظم الزيجات لاتزال ينظمها الآباء ، ولكن الزواج بالاختيار الحر بين الفتيان
والفتيات أخذ في الانتشار في الحواضر ؛ فالشباب لا يكتفى الآن بأن يرى نفسه
حرّاً في أن يتزوج من يشاء ، بل هو يجرى تجارب في الزواج قد يرتاع لها أبناء
الغرب أنفسهم ، وهذا القول نفسه ينطبق على الفتيات كما ينطبق على الفتيان .
لقد كان نتشه يرى أن آسية على حق فيما تعامل به النساء ، ويرى أن إخضاعهن
لرجال هو العاصم الوحيد من سيطرتهم عليهم سيطرة لاتقف عند حد ، ولكن
آسية قد اختارت أساليب أوربا لا أساليب نتشه في معاملة النساء . وتعدد
الزوجات أخذ في النقصان لأن الزوجة الجديدة تعارض فيه وتعارض في التسرى .
والطلاق قليل غير عادي ، ولكن السبيل إليه أوسع مما كانت في الأيام الماضية^(٣٠) .
والتعليم المشترك هو القاعدة المتبعة في الجامعات ، واختلاط الجنسين اختلاطاً حرّاً
أمر عادي في المدن ، وقد سنت النساء لمن قوانينهن الخاصة بهن وأنشأن مدارسهن
الطبية ، بل سرن إلى أبعد من هذا فأنشأن مصرفاً مالياً خاصاً بهن^(٣١) . واللائي
انضممن إلى الحزب من النساء مدجن حق الانتخاب ، وقد وجدت لهن وظائف
في أرقى لجان الحزب والحكومة على السواء^(٣٢) . ولقد نبذن عادة قتل الأطفال

(*) تجيز الثورة الطلاق إذا طلبه الطرفان ، ولكن إذا كان الزوج أقل من ثلاثين
سنة أو الزوجة أقل من خمس وعشرين فإن الطلاق يتطلب رضا الأبوين . ولا نزال الأسباب
القديمة التي كانت تجيز للزوج أن يطلق زوجته معمولاً بها - وهذه الأسباب هي العقم ،
والخيانة الزوجية ، وإهمال الواجب ، والثروة ، والسرقه ، والغيرة ، والأمراض الخطيرة ؛
ولكن هذه الأسباب لا يعمل بها إذا كانت الزوجة قد حزنت ثلاث سنين على والدي زوجها ،
أو لم تكن لها أسرة تعود إليها ، وكانت وفية لزوجها في أثناء ارتفاعه من المقر إلى
الغنى^(٣٠) .

وأخذن يزاولن عادة تحديد النسل^(٣٤)، ولم يزد عدد السكان زيادة ملحوظة منذ قيام الثورة ولعل تيار السكان الصينيين الجارف قد أخذ الآن يتراجع^(٣٣). ومع هذا فإن خمسين ألف صيني جديد يولدون في كل يوم^(٣٤). وسيكونون في مستقبل أيامهم جُداً من كل الوجوه، جُداً في تفصيل ملابسهم وترجيل شعرهم، جُداً في تعليمهم وعاداتهم وأخلاقهم ودينهم وفلسفتهم، لقد اختفى ذيل ملابسهم الطويل واختفى معه ما كان في الأيام الخالية من ظرف ورقة، وخشنت أحقاد الثورة روح الأهلين، وأضحى من أصعب الأمور على المتطرفين أن يجاملوا المحافظين^(٣٥). وها هو ذا تيار الصناعة السريع يبذل ما كان يتصف به الشعب الصيني القديم من تواكل وعدم مبالاة إلى صفات أخرى أكثر دلالة على طبيعتهم. إن هذه الوجوه البليدة لتخفى تحتها نفوساً نشيطة سريعة الاحتياج، وإن النزعة السلمية التي أثمرتها نفوس الصينيين بعد حروب دامت عدة قرون لآخذة في الزوال من طول تفكيرهم في هزائمهم القومية وتقطيع أوصال بلادهم؛ والمدارس تعد الآن كل طالب لأن يكون جندياً، وعاد القوم مرة أخرى يرون القائد بطلاً.

وتبدل نظام التعليم من أوله إلى آخره فألقت المدارس بكفوشوشوس من النافذة وأحلت العلوم الطبيعية والرياضية محلها، وإن لم يكن من الضروري أن تتخلى عنه لتحل العلوم محلها لأن تعاليم كفوشوشوس لا تتعارض مطلقاً مع روح العلم. ولكن التاريخ كله لحنته وسداه يتكون في جميع مراحلها من غلبة الإحساسات النفسية على العقائد المنطقية. فدراسة الرياضيات والميكانيكا واسعة الانتشار لأنهما يعينان على صناعة الآلات، والآلات تعين على جمع الثروة وعلى صناعة المدافع، والمدافع قد تحفظ الحرية. ودراسة الطب في الصين آخذة في

(*) إن الإعلانات الصريحة عن وسائل موانع الحمل في أازن الأدوية الصينية لما يوحى إلى الله بوسيلة يلجأ إليها لينجو بها من «الخطر الأصفر».

الانتشار ، والفضل في انتشارها راجع معظمه إلى هبات المحسن ركفلر^(٥) . وقد تضاعف عدد المدارس الجديدة والمدارس العليا والكليات بسرعة فائقة على الرغم من فقر البلاد ، والصين الحديثة تأمل ألا يمضى إلا القليل من الوقت حتى يستطيع كل طفل أن يتعلم من غير أجر وأن يسودها النظام لدمقراطي بفضل انتشار التعليم . وقد حدث في الأدب الصيني والفلسفة الصينية انقلاب شبيه بما حدث في عهد النهضة . ذلك أن دخول الكتب الغربية كان له من الأثر المنتج ما كان للمخطوطات اليونانية من أثر في عقول الإيطاليين ؛ وكان إيطاليا في إبان نهضتها قد هجرت اللغة اللاتينية لتكتب بالإيطالية فكذلك فعلت الصين بزعامه هوشى إذ حولت اللهجة الأرسقراطية القديمة إلى لغة أدبية هي المعروفة بالباى هوا ، وأقدم هوشى على عمل خطير جازف فيه بمصيره الأدبي فكتب بهذه « اللغة البسيطة » تاريخ الفلسفة الصينية في عام ١٩١٩ ؛ وكانت شجاعته سبباً في فوزه العظيم ، فأخذت خمسمائة صحيفة دورية الباي هوا لغة لها ، ولم يمض إلا وقت قليل حتى كانت لغة الكتابة الرسمية في المدارس . وقامت في الوقت نفسه « حركة الحروف الألف » لإلغاص رموز الكتابة الصينية من ٤٠٠٠٠ رمز وهو العدد الذي كان يستخدمه العلماء في كتاباتهم إلى ١٣٠٠ تكفي للاستعمال العادى . وبهذه الطريقة أخذت لهجة المدرسين تذيب بسرعة في الأقاليم الصينية ، وقد لا ينتهى هذا القرن حتى تكون للصين كلها لغة واحدة وحتى تقترب من الوحدة الثقافية .

والأدب الصيني آخذ في الانتشار مدفوعاً بهذه اللغة الشعبية وبجاسة الأهاليين ، وقد أضحى عدد الروايات والقصائد والتثيليات لا يقل عن عدد الصينيين أنفسهم ، وانتشرت الصحف والمجلات في كل مكان ، وأخذ الصينيون يترجمون آداب الغرب

(*) في عام ١٩٣٢ فتحت كلية طب الاتحاد للطلاب والطالبات بفعل الهبة التي قدمها چون . و . ركفلر الصغير والبالغ مقدارها خمسة ملايين من الدولارات ، وتنفق اللجنة الطبية الصينية التي تمدها بالمال مؤسسة ركفلر على تسعة عشر مستشفى وثلاث مدارس للطب وتهب في كل عام خمسا وستين جائزة تعليمية (٣٦) .

بالجملة ، كما أخذت أشرطة الخيالة الأمريكية ، بشرحها مترجم صيني يقف إلى جانب الشاشة البيضاء ، تبعث البهجة في نفوس الصينيين العلماء منهم والسذج . وكذلك عادت الفلسفة إلى عطاء الفلاسفة الأقدمين للملحدين ، وأخذت تعيد دراستهم وتفسيرهم على نمط جديد بعزيمة واندفاع لا يقلان عن عزيمة أوروبا ونشاطها في القرن السادس عشر ، وكما أن إيطاليا بعد أن تحررت من القيود الكنسية قد راعتها العقلية اليونانية اللادينية وأثارت إعجابها ، كذلك أخذت الصين الجديدة تستمع بشغف ليس كمثل شغف إلى أقوال مفكرى الغرب أمثال جون ديوى وبرتراند رسل وأمثالهم من العلماء المستقلين في تفكيرهم استقلالاً تاماً عن جميع الأديان ، والذين يعظمون التجارب ويمتقدون أنها وحدها هي المنطق الواجب الاتباع ، والذين تتفق فلسفتهم لهذا السبب مع مزاج أمة تحاول أن تجمع الإصلاح الدينى ، وإحياء العلوم والاستنارة والنهضة والثورة في جيل واحد^(٥) .

وإذا ما امتدح أحدنا الآن ما لآسية من « قيم روحية » سخر منه هوشى وقال إنه يجد في إصلاح نظم الصناعة والحكم إصلاحاً يعين على استئصال العوز من البلاد قياً أخلاقية أعظم من كل ما في « حكمة الشرق » ، وهو يلقب كنفوشوس « بالشيخ الطاعن في السن » ويقول إن التفكير الصينى ليظهر على حقيقته إذا ما وضعت مدارس الملحدين التي كانت قائمة في القرن الخامس والرابع والثالث قبل الميلاد في مكانها الصحيح من تاريخ الصين^(٣٨) .

بيد أنه وهو في وسط هذا « التيار الجديد » الجارف وهذه الحركة الفكرية الجديدة التي كان من أنشط زعمائها قد أوتى من الحكمة ما جعله يدرك ما للشيوخ أنفسهم من قيمة ، وقد صاغ مشكلة بلاده أكمل صياغة في الفقرة الآتية :

(*) لقد ضعف في الأيام الأخيرة هذا الميل الشديد إلى تقليد المثل الغربية في الأمور العقلية بتأثير حركة الحياة الجديدة التي يترصمها جيانج كاي - شك . وأخذت الصين واليابان تفرحان لها أشرطة خيالية خاصة بهما ، وعاد الاستمساك بالتقديم يحل تدريجاً محل التطرف ، كما أخذت الصين تميل إلى الانضمام إلى اليابان في الثورة على أفكار أوروبا وأمريكا وأساليهما .

« إن الجنس البشرى بأجمعه لتصيبه أكبر خسارة إذا ما استبدلت الحضارة الجديدة بالحضارة القديمة استبدالاً سريعاً مفاجئاً يحوها من الوجود بدل أن تمتصها البلاد امتصاصاً بطيئاً وتمثلها كما يمثل الغذاء الصالح . وعلى هذا فإن المشكلة التي تواجهنا يمكن أن تصاغ على النحو الآتي . كيف نستطيع أن نهضم الحضارة الجديدة ونمثلها بحيث نجعلها متجانسة مؤتلفة مع الحضارة التي أنشأناها نحن في أيامنا الحالية ؟ » (٣٠) .

ويحيل إلى كل من يشهد ظواهر الأمور الخارجية السائدة في الصين الآن أنها لن تستطيع حل هذه المشكلة . ذلك أن الإنسان إذا ما فكر فيما يخيم على الحقول الصيفية من وحشة ، وما حاق بها من خراب ، وما يتناوبها من جذب تارة وفيضان جارف تارة أخرى ، وما أصاب أشجارها من تقطيع وتدمير ، وفيما أصيب به زراعها من إنهاك وخول ، وفي الموت الذي يحصد أطفالها حصداً ، وفي عمالها الذين يكدحون في المصانع كالعبيد كدحاً يضعفهم ويهد قواهم ، وفي مدنها القدرة التي تنفث فيها الأمراض ، وتفرض على بيوتها أفدح الضرائب ، وفي الرشوة المنتشرة في تجارتها ، وفي صناعاتها التي يسيطر الأجانب عليها ، وفي فساد حكومتها ، وضعف وسائل الدفاع عن بلادها ، وفي أهلها الذين تفرقوا شيعاً وأحزاباً وامتلات قلوبهم غلاً وحقداً ، إذا ما فكر في هذا كله هاله الأمر فلا يدري هل تستطيع الصين أن تستعيد عظمتها الماضية ، وهل في مقدورها أن تمتص مرة أخرى فاتحها وتمثلهم في جسمها الضخم ، وتحيا من جديد حياتها الذشيطة المبدعة ؟ ولكننا إذا نظرنا إليها نظرة تدقيق وإمعان رأينا من تحت هذه المظاهر السطحية عوامل النقاها والتجديد فأراضيها الواسعة الرقعة المختلفة الأنواع غنية بمعادنها الكفيلة بأن تجعلها بلدأصناعياً عظيماً ، وقد لا يكون فيها من الثروة المعدنية ما قدره رختوفن . ولكن فيها بلا ريب أكثر مما كشفت عنه البحوث التجريبية في هذه الأيام . وإذا ما تسربت للصناعة إلى داخل البلاد فستكشف عن خامات ومواد للوقود لا يتصور الناس

الآن أنها توجد فيها ، كما لم يكن أحد يتصور منذ قرن واحد ما في أمريكا من ثروة معدنية ومن وقود . أما عن قواها المعنوية فإن هذه الأمة التي مرت عليها ثلاثة آلاف عام سمت فيها إلى المجد تارة وتردت في مهاوى الشقاء تارة أخرى ، وتوالت عليها فترات موت وبموت ، إن هذه الأمة لتظهر فيها اليوم كل دلائل الحيوية للمادية والمعنوية التي تتبينها في ، كثر عهودها إبداعاً وإنتاجاً . وليس في العالم كله شعب أكثر من هذا الشعب نشاطاً وذكاء ، وليس فيه شعب يمثله في قدرته على التكيف حسب ما يواجهه من الظروف ، وفي مقاومته للأمراض ، وفي انتعاشه بعد الكوارث والآلام ، شعب علمه تاريخه الطويل الصبر على الأرزاء والخروج منها سالماً على مر الأيام . وليس في الخيال أن يتصور ما يخبئه المستقبل لحضارة تبرز فيها الموارد المادية والطاقة البشرية والعقلية لهذا الشعب والوسائل والأدوات الفنية التي أوجدتها الصناعة الحديثة .

وأكبر الظن أن الصين ستنتج من الثروة ما لم تنتجها قارة من القارات حتى أمريكا نفسها ، ، وأن الصين ستزعم العالم في نعيم الحياة وفنائها كما تزعمته مراراً في الزمن القديم في التنم وفي فنون الحياة .

ذلك أن الهزائم الحربية واستبعاد الأموال الأجنبية مهما قست لا تستطيع أن تكبت إلى مدى طويل روح أمة غنية في مواردها وفي حيويتها ، بل سيخسر المفير عاينها ماله وينفذ صبره قبل أن تستنفد البلاد قدرتها على التكاثر ؛ ولن يمضي قرن واحد من الزمان حتى تكون الصين قد امتصت فآحيتها وهضبتهم وحضرتهم بمحضارتها ، وتعلمت جميع الفنون التي سيطلق عليها إلى وقت قصير اسم الصناعة الحديثة . وسوف توحد الطرق وسبل الاتصال أجزاءها ، وتمدها أساليب الاقتصاد والادخار بحاجتها من المال ، وستعيد إليها الحكومة القوية السلم والنظام . ويقيننا أن الفوضى مهما اشتدت ليست إلا أمراً عارضاً مصيره إلى الزوال ، ثم يتوازن

الاضطراب آخر الأمر مع الطفيلان ويتمادلان ، وحينئذ تُكتسح العوائق القديمة وتنمو البلاد نماءً حُرّاً جديداً . إن الثورة كالموت هي اكتساح الأقدار ، وبتر الذى لا نفع فيه ؛ وهي لا تقوم إلا إذا كان فى البلد الذى تقوم به أشياء كثيرة فى دور الاحتضار . ولقد ماتت الصين مزاراً من قبل ، ثم عادت وولدت من جديد .

(انتهى)

المراجع

الباب الثالث والعشرون

1. I am indebted for this quotation from the *Book of Rites* to Upton Close. Cf. Gowen and Hall, *Outline History of China*, 60; Hirth, F., *Ancient History of China*, 155.
- 1a. Reichwein, A., *China and Europe: Intellectual and Artistic Contacts in the Eighteenth century*, 92.
2. *Ibid.*, 89f; Voltaire, *Works*, New York, 1927, xiii, 19.
3. Keyserling, *Creative Understanding*, 122, 203; *Travel Diary*, ii, 67, 58, 50, 57, 48, 68.
4. Lippert, 91; Keyserling, *Travel Diary*, ii, 58.
5. Smith, A. H., *Chinese Characteristics*, 98.
6. Giles, H., *Gems of Chinese Literature Prose*, 119.
7. Williams, S. Wells, *Middle Kingdom*, i, 5; Brinkley, Capt. F., *China: Its History, Arts and Literature*, x, 3.
8. *Ibid.*, 2; Hall, J. W., *Eminent Asiaus*, 41.
10. Pitard, 897; Buxton, 158; Granet, *Chinese Civilization*, New York, 1930, 68; Latourette, K. S., *The Chinese: Their History and Culture*, 35-6; *New York Times*, Feb, 15, 1933,
11. Lowie, 182; Fergusson, J., *History of Indian and Eastern Architecture*, ii, 468; Legendre, A. F., *Modern Chinese Civilization*, 234; Granet, 64.
12. *Ibid.*, 215, 280.
13. Gowen and Hall, 26-7.
14. Confucius (?) *Book of History*, rendered and compiled by W. G. Old, 20-1.
15. Giles, *Gems*, 72.
16. Hirth, 40.
17. *Ibid.*, 53-7.
18. Willhelm. R., *Short History of Chinese Civilization*, 124; Granet, 86.
19. *Ibid.*, 87.
20. Confucius, *Analects*, XIV, xviii, 2, in Legge, Jas, *Chinese Classics*, Vol, 1: *Life and Teachings of Confucius*.
21. Legge, 213n
22. Hirth, 107-8, Latourette, i, 57, Gowen and Hall, 64; Schneider, H., ii, 796-8.
23. Cranen, 78.
23. Granet, 78.
24. *Ibid.*, 32-3; Hu Shih, *Development of the Logical Method in Ancient China*, 22, Latourette, ii, 52.
25. *Ibid.*, 58-9; Granet, 87-8; Hirth,

(+) سنثبت اسم الكتاب كاملاً عند أول وروده في هذه القائمة ثم نكتفي بعد ذلك

بذكره مختصراً

- 110.
26. Giles, H.A., *History of Chinese Literature*, 5
27. *Book of Odes*, I, x, 8, and xii, 10, in Hu Shih, Pt. I, p. 4.
28. Cranmer - Byng, L., *The Book of Odes*, 51.
29. Tr. by Helen Waddell in Van Dorren, *Anthology of World Poetry*, 1.
30. In Yang Chu's *Garden of Pleasure*, 64.
31. Fenollosa E.F., *Epochs of Chinese and Japanese Art*, 14, Hirth, 59-62; Hu Shih, 28f; Suzuki, D. T., *Brief History of Early Chinese Philosophy*, 14; Murdoch, Jas., *History of Japan*, lii, 108.
32. Hu Shih, 12
33. Legge, 76n.
34. In Hu Shih, 12.
35. *Ibid.*, 13.
36. *Ibid.*, 12.
37. Giles, *History*, 57; Legge, Jas., *The Text of Taoism*, i, 4-5.
38. Giles, *History*, 67, Giles *Gems*, 55.
39. Legge, *Texts of Taoism*, i, 41.
40. II, lxxxii, 3, I, lxxv, 1-2.
41. In Suzuki, 81.
42. II, lvii, 2-3, lxxx, Parenthetical-passages, in this and other quotations, are 'usually explanatory interpolations, nearly always of the translator.
43. Yang Chu, 16, 19, Schlender, ii, 810; Hu Shih, 14, Wilhelm, *Short History*, 247.
44. I, xvi 1-2.
45. I, xliii, 1; xlix, 2: lxi, 2, lxiii, 1, lxxviii, 1, lxxxii, 1, Giles, *History*, 73.
46. II, lxi, 2.
47. II, lvi, 1-2.
48. Granet, 55.
49. II, lvi, 2.
50. I, xvi, I, II, lvi, 3, Parmelee, 43.
51. Legge, *Texts of Taoism*, 34, *Life and Teachings of Confucius*, 64.
61. Legge, *Texts*, 84.
62. *Ibid.*
63. Szuma Ch'inn in Legge, *Life*, 58n.
64. *Ibid.*
65. Legge, *Life*, 55-8, Wilhelm, R., *Soul of China*, 104.
66. Hirth, 229.
67. *Analecfs*, VII, xliii.
68. VIII, viii.
69. XV, xv.
70. VII, viii.
71. VII, xii,
72. VI, ii, XI, iii.
73. XVII, xvii, XIV, xvi.
74. Legge, *Life*, 65.
75. *Ibid.*, 79.
76. V, xxvii.
77. VII, xxxii.
78. XIII, x.
79. IX, iv.
80. VII, i.
81. IV, xiv.
82. Legge, *Life*, 67.
83. XII, xi
84. Legge, *Life*, 68.
85. *Ibid.*, 72.
86. *Ibid.*, 75.
87. IX, xvii.
88. Legg, 83.
89. *Ibid.* 82.
90. XV, xviii.
91. II, iv.
92. Legge, 82.
93. Mencius. *Works of*, tr. by Legge, III, 1, iv, 13.

94. Wilhelm, *Short History*, 148,
Legge, *Life*, 16.
95. *Ibid.*, 267, 27, Hu Shih, 4.
96. XV, 40.
97. II, xvii.
98. XIII, iii,
99. III, xiii, 2.
100. IX, xv.
101. Legge, *Life*, 101, Giles, *History*,
83, Suzuki, 20.
102. Legge, 101.
103. XI, xi.
104. VI, 20.
106. VII, 20.
106. Giles, *History*, 69.
107. XV, ii.
108. *Great Learning*, 1,4-5. In Legge,
Life, 266. I have ventured to
change "illustrate illustrious
virtue" in Legge's translation,
to "illustrate the highest virtue",
and the words "own selves"
have been substituted for
"Persons," since "the cultivation
of the person" has now a mis-
leading connotation.
109. XIV, xiv.
110. XV, xxxi, II, xiv, XIII, iii, 7.
111. VI, xvi.
112. *Doctrine of the Mean*, XII, 4, in
Legge.
113. *Analects*, II, xii.
114. *Doctrine of the Mean*, XIV, 5.
115. XV, xviii-xx.
116. XIV, xxix, XI, xiii, 3, *D. of M.*,
XXXIII, 2.
117. *Ibid.*, XI, 8.
118. *Li-chi*, XVII, i, 11-2.
119. Spinoza, *Ethics*, Bk. III, Prop.
59.
120. *D. of M.*, XXI, tr. by Suzuki,
64.
121. Suzuki, 68.
122. *Analects*, XII, ii, V, xvi.
123. XV, xxiii,
124. XIV, xxxvi, 1-2.
124a. IV, xvii.
124b. XII, vi.
125. XIII, xxiii.
126. *D. of M.*, XIV, 3.
127. IV, xxiv, V, iii, 2, XVII, vi, XV,
xxi.
128. V, xvi, XVI, iii, 5.
129. XVI, 10.
130. I, ii, 2, Legge, *Life*, 106.
131. IV, xviii, *Li-Chi*, XII, 'i. 15,
Brown, B., *Story of Confucius*,
183.
132. *Great Learning*, X, 5.
133. *Analects*, XII, vii.
134. XII, xix, II, ii, xx.
135. XII, xxiii, 3.
136. *D. of M.*, XX, 4.
137. *Analects*, XIII, x-xii.
138. *Great Learning*, X, 9.
139. *Analects*, XII, xix, XV, xxxviii.
140. *Li-chi*, XVII, i, 28, iii. 23, Brown,
Story of Confucius, 181.
141. *Analects*, XX, iii, 3.
142. *Li-Chi*, XXVII, 33, XXIII, 7-8.
143. *Ibid.*, VII, i, 2-3, quoted in
Dowson, *Ethics of Confucius*,
299, from Chen Heang-chang,
*The Economic Principles of Cou-
fucius and School*.
144. Latourette, i, 80-1.
145. Legge, *Life*, 106.
146. *D. of M.*, XXX-XXXI.
147. Hu Shih, 109, f.
148. Hirth, 807.
149. Mencius, VII, i, 26, in Hu Shih,
58.
150. Hu Shih, 72.
151. *Ibid.*, 57, 75, Latourette, i, 78.

152. In Hirth, 281.
 153. Hu Shih, 69-70.
 154. Thomas, E. D., *Chinese political Thought*, 29-30.
 155. Hu Shih, 58.
 156. Mencius, *Introd.*, 111.
 157. Wilhelm *Short History*, 150, Hu Shih 110.
 158. Hu Shih, 62.
 159. Mencius, *Introd.*, 98.
 160. Yang Chu, 10, 51, Latourette, 1, 80.
 161. Mencius, *Introd.*, 96, Yang Chu, 57.
 162. Mencius, *Introd.*, 96-8.
 163. Hirth, 27-9.
 164. Mencius, III, ii, 9.
 165. Mencius, *Intrd.*, 14-18.
 166. *Ibid.*, 42.
 167. *Ibid.*, I, ii 3, II, 5:pp. 156, 162.
 168. *Ibid.*, 12.
 169. VI, I, 7.
 170. J, i, 7.
 171. III, i, 3.
 172. I, i, 3.
 173. II, i, 5.
 174. Thomas, E.D., 87, Williams, S. Wells, i, 670.
 175. IV, ii, 19.
 176. Mencius, *Introd.*, 30-1.
 177. VI, ii, 4.
 178. VII, ii, 4.
 179. Quoted in Thomas, E. D., 87.
 180. I, i, 3.
 181. II, ii, 4.
 182. VII, ii, 14.
 183. V, ii, 9, I, ii, 6-8.
 184. Mencius., *Introd.*, 84.
 185. *Ibid.*, 79-80.
 186. *Ibid.*, 86.
 187. In Hu Shih, 152.
 188. Legge, *Texts of Taoism*, V, 5.
 189. *Ibid.*, *Introd.*, 87.
 190. XVII, 11.
 191. I Thomas, E. D., 100.
 192. XI, 1.
 193. XVI, 2, IX, 2.
 194. XII, 11.
 195. XII, 2.
 196. II, 2, XX, 7, Giles, *Gems*, 32.
 197. II, 7, XXII, 5.
 198. VI, 7.
 199. In Suzuki, 86.
 200. XVII, 4, Hu Shih, 146.
 201. XVIII, 6.
 202. II, 11, tr. by Giles, *History* 63.
 203. VI, 10, tr. by Suzuki, 181-2.
 204. In Giles, *History*, 68.
 205. In Reichwein 79f.
 206. *Ibid.*
 207. *Ibid.*, 84.
 208. Wilhelm, *Soul of China*, 233.
 209. Thomas, E.D., 25.
 210. Voltaire, *Works*, iv, 82.
 211. Reichwein, 181; Hirth, xii.

الباب الرابع والعشرون

1. Giles, *Gems*, 33.
2. Granet, 87, Cowen and Hall, 84, Giles, *History*, 78.
3. Granet, 41.
4. Voltaire, *Works*, iv, 82.
5. Granet, 87, 97-8, 101-3, Boulger, D. C., *History of China*, i, 68-70, Wilhelm, *Short History*, 157.
6. Boulger, i, 71.
7. Granet, 88.

- 8 Ibid.
9. Ibid., 103; Schneider ii, 790;
Wilhelm, *Short History*, 160-1;
Lautourette i, 96.
10. Gowen and Hall, 84f, Giles,
History, 78.
11. Hail J. W., *Emu nt Asians*, 6.
12. Boulger, i, 64.
13. Ibid., 62, Latourette, i, 99.
14. Granet; 38-40, Boulger i, 77.
Giles in (Gowen) & H (all), 92.
15. Boulger, i, 106, Granet, 44.
16. Szuma Ch'ien in Granet, 113.
17. Ibid.
18. Granet, 112-3.
19. Ibid., 118.
20. Fenollosa, i, 77.
21. Walley, Arther *Introduction to
the Study of chinese Painting*,
27, O.H. 102.
22. Granet, 113-5.
23. Wilhelm, *Short History*, 186, 194.
24. Lautourette, i, 121.
25. Ibid., 120-2.
26. Ibid., 122.
27. G & H, 118.
28. Ibid., 117-21.
29. Fenollosa, i, 117.
30. Voltaire, *Works*, xiii, 26.
31. Tu Fu, *Poems*, tr. by Edna W.
Underwood, xli
32. Li-Po, *Works*, done into English
Verse by Shigeyoshi Obata, 91.
33. Tu Fu, xvii.
34. In Li-Po. 1.
35. In Tu Fu, xii.
36. Murdoch, *History of Japan*, i, 146.
37. Waley. *Chinese Painting*, 142.
38. Ibid., 97.
39. William, *Short History*, 224.
40. Williams, S. Wells, i, 696f.
41. Li-Po, 20.
42. Ibid., 95.
43. Ibid., 30.
44. Williams, S. Wells, i, 697.
45. Li-Po, 31.
46. G & H, 113.
47. Li-Po, 100.
48. Ibid., 84.
49. 138.
50. 191.
51. 71.
52. 55.
53. Ibid., ii.
54. Ibid.,
55. Ibid., 25.
56. Giles, *History*, 50.
57. Translations by Arthur Waley
Amy Lowell and Florence Ayscough,
in Van Deren, *Anthology*,
18-20.
58. Waley, Arthur, 170 *Chinese Poems*,
106-8.
59. Ibid., 126.
60. Ibid., 168.
61. In Van Doren, 24.
62. Giles, *History*, 156; Ayscough,
Florence, *Tu Fu: The Autobiography
of a Chinese Poet.*, 105.
63. Ibid., 75.
64. Tu Fu, *Poems*, 118, 184, 154.
65. Ibid., 95,
66. 30, 7, 132.
67. 137.
68. 72, 133, and introd.
69. Williams, S. Wells, i, 602,
70. Giles, *History*, 276.
71. Ibid., 102.
72. Ibid.
73. Thomas, E. D., 5.
74. Giles, *History*, 224.
75. Ibid., 160.
76. G & H, 156.
77. Wilhelm, *Short History*, 256, Giles,

- History*, 258.
76. William, S. Wells, (i, 820 ;
Latourette, ii, 220.
79. *Ibid.*,
80. William, 141.
81. Pratt, *History of Music*, 82-5.
82. Giles, *Gems*, 117.

الباب الخامس والعشرون

1. O & H, 142.
2. *Ibid.*, 141.
3. *Ibid.*, 140-3 ; Latourette, i, 252-7 ;
Wilhelm, 237 - 8 ; Murdoch, iii,
106 ; Fenollosa, ii, ii, 33, 57.
4. O & H, 133, quoting Walter T.
Swingle, Librarian of the U.S.
Dept. of Agriculture.
5. Carter, *Invention of printing* 2.
6. *Ibid.*, 3.
7. *Ibid.*, 96.
8. Sarton, 369.
9. Carter ; 25.
10. *Ibid.*, 145 ; Sarton, 512.
11. Carter, 41.
12. *Ibid.*, 43, 183.
13. O & H, 183.
14. Carter, 250.
15. *Ibid.*, 178, 171.
16. *Ibid.* 177-8 ; Sarton, 663.
17. *Ibid.* ; O & H, 164 ; Giles, *History*
296.
18. Chu Hsi, *Philosophy of Human*
Nature, 75 ; Bryan, J. J , *Literature*
of Japan, 122 ; Latourtte, i,
262-3 ; Williams, S. Wells, i, 683 ;
Wilhelm, *Short History*, 249-50,
Aston, W.O., *History of Japanese*
Literature, 226-7.
19. Chu Hsi, 68.
20. Wilhelm, 2249-50.
21. Wang Yang-ming, *Philosophy* tr.
by Fredk. G. Henke, 117-8.
22. Armstrong, R.C., *Light from the*
East : Studies in Japanese Confu-
clianism, 121, Brinkley, Cad. F.,
Japan : Its History, Arts and
Literature, iv, 125.
23. Wang Yang-Ming, 8, 12, 50, 59.
24. Brinkely, *Japan*, iv, 125.
25. Wang Yang - Ming, 106, 52.
26. *Ibid.*, 115-6.
27. Hobson, R. L., *Chinese Art*, 14.
28. *Encyc. Brit.*, xiii, 575.
29. Cf. the imperial marriage table
in Hobson, R.L., Pl. LXXXIII.
30. *Ibid.*, XCI.
31. Illustrated in *Encyc. Brit.*, xiii, f.
p. 576.
32. Ferguson. J. C , *Outlines of*
Chinese Art, 67.
33. Hobson, R. L., LXXXVIII.
34. *Ibid.*, LXXVII, 1.
35. Lorenz, *RounndtheWorld Traveler*,
197.
36. *Encyc. Brit.*, xii, 864.
37. Fry. R.E., *Chinese Art*, 31, Granet,
37, *Encyc. Brit.*, iv, 245.
38. *Chinese Art*, 33.
39. Fischer, Otto, 374.
40. *Encyc. Brit.*, Pl. XIV, f. p. 248,
collection of Mr. Warren E. Cox.
41. *Chinese Art*, 47.
42. Faure, *History, of Art*, ii, 55.
43. *Encyc. Brit.*, v, f. p. 581.
44. Siren, O , in *Encyc. Brit.*, v. 581,
Chinese Art, 48.
45. Stein, Sir Aurel, *Innermost Asia*,

- Vol. i, Plates VIII, XI, XIX and XXIV.
46. *Encyc. Brit.*, v. f. p. 586, Plate X, 2, Fischer, 866.
47. *Encyc. Brit.*, v. f. p. 584, Pl. VI, 4.
48. *Ibid.*, f. p. 585, Pl. VIII, 2.
49. *Ibid.*, f. p. 586. Pl. XI '2 and 3.
40. Fergusson, Jas., *History of Indian and Eastern Architecture*, ii, 454.
51. Fergusson, Jas., in William, S. Wells, i, 727.
52. Cf the decorative design reproduced in Stein air, A., *Innermost Asia*, Vol. iii, Pl. XXV, and the patiently carved and ornamental ceiling shown in Pelliot, Vol. iv Pl CCXXV.
53. Fergusson, op. cit., ii, 464.
54. Coomarswamy, *History*, 152.
55. Williams, S. Wells, i, 744.
56. Lorenz, 203.
57. Cook's, *Guide to Peking*, 28, 80.
58. Fergusson, ii, 481.
59. Legendre, 79.
60. *Ibid.*, 166.
61. Smith, *Chinese Characteristics*, 134.
62. Waley, *Chinese Painting*, 69-70.
63. Siren Oswald, *Chinese Paintings in American Collections*, i, 36.
64. Giles, H. A., *Introduction to the History of Chinese Pictorial Art*, 2.
65. Wilhelm, *Short History*, 38.
66. Giles, *Pictorial Art*, 3.
67. *Ibid.*, Waley, *Chinese Painting*, 32.
68. Fenollosa, ii, p. xxx.
69. Wally, *Chinese Painting*, 45.
70. *Encyc. Brit.*, art. on "Chinese Painting." Pl. II, 6.
71. Fischer, 325-31.
72. Waley, 49.
73. *Ibid.*, 51.
74. Giles, *Pictorial Art*, 21.
75. Tu Fu, 97, cf. 175 and 187.
76. Giles, *Pictorial Art*, 79.
77. Wilhelm, 244.
78. Waley, 183.
79. Fenollosa, i, f. p. 120, Fischer, 490.
80. *Ibid.* 424.
81. Giles, 47-8.
82. *Ibid.*, 50, Binyon, Li, *Fligh of the Dragon*, 43.
83. Giles, 47.
84. Croce, Bene tt i *Esthetic*, 50.
85. in Waley, 119.
86. Binyon, 111.
87. Siren, i, Plates 5-8 *Encys. Brit.*, Chinese Painting," Pl. II, 4.
88. Fenollosa, ii, 27.
89. Waley, 177.
90. O & H, 146.
91. A Chinese writer in Giles, *Pictorial Art*, 115.
92. Fischer, 492.
93. E. g, Fenollosa, ii, 42.
95. *Ibid.*, 62.
96. Gulland, W. G., *Chinese Porcelain*, i, 16.
97. *Chinese Art*, 11.
98. *Ibid.*, 2.
99. Hsieh Ho in Coomaraswamy, *Dance of Sive*, 43.
100. Binyon, 65-8, *China Art*, 47.
101. In Okakura-Kakuso, *The Book of Tea*, 108.
102. Gulland, i, 3.
103. *Encyc. Brit.*, xviii, 861.
104. *Ibid.*, Legendre, 283.
105. *Encyc. Brit.*, xviii, 862, Carter, 93.

106. Ibid., I c.
107. Brinkley, *China*, ix, 299.
108. Ibid., 62.
109. Ibid., 87, Gulland, 139.
110. Brinkley, 75.
111. G & H, 165.
112. Brinkley, *China*, ix, 256.
113. *Encyc. Brit.*, viii, 419.
114. Brinkley, *China* iv, 210, 215.
115. Ibid., 376, 554, *Encyc., Brit.*, art. "Ceramics".

الباب السادس والعشرون

1. polo, *Travels*, 78, 188.
2. Ibid., v-vii, a perfect introduction, to which the present account is much indebted.
3. Polo, 232-4.
4. 152.
5. 129.
6. G & H, 135f.
7. Giles, *History*, 248-9.
8. Polo, 172.
9. Giles, 147.
10. Polo, 158.
11. Ibid., 125.
12. 149.
13. P. xxiv of Komroff's introduction.
14. G & H. 172.
15. Ibid.
16. Latourette, i, 330, Wilhelm, *Short History*, 260, G & H, 195, Giles, *History*, 291, Gulland, W. G., ii, 288.
17. G & H, 209.
18. Ibid., 227.
19. Quoted in Parmelec, 218, and in Bisland, Elizabeth *Three Wise Men of the East*, 125.
20. Wilhelm, 204, Latourette, i, 208, G & H. 286, Brinkley, *China*, x, 4.
21. Latourette, i 289.
22. Brinkley, I.c., 12.
23. Williams, S. Wells, i, 770.
24. Ibid., 762.
25. Wilhelm in Keyserling, *Book of Marriage*, 183, Waley, *Chinese Painting*, 165.
26. Legendre, 23.
27. Ibid., 75, Park, No Yong, *Making a New China*, 129.
28. Smith, *Chinese, Characteristics*, 127.
29. Polo, 286.
30. Pitkin. *Short Introduction*, 182.
32. Wilhelm, *Short History*, 64.
33. Mason, *Art of Writing*, 154-76.
34. Legendre, 76. 113.
35. Okakura, 3, 36.
36. Granet. 144-5.
37. Legendre, 114.
38. Wilhelm, *Soul of China*, 389.
40. Smith, *Characteristics*, 21, Park, No Yong, 123, Legendre, 86, Williams, S. Wells, i, 775 - 80.
41. Latourette, i, 275.
42. Park, 121, Smith, *Characteristics*, 19.
43. Eudy, Sherwood, *Challenge of the East*, 81.
44. Giles, *Gems*. 285.
45. Murdoch, iii, 267.
46. Sarton, 452.
47. National Geographical Magazine, April. 1932, p. 511.
48. Sumner and Keller, iii, 2095.

49. Wilhelm, *Short History*, 134, Wilhelm, *Soul of China*, 861-2, G & H, 59.
50. Polo, 286.
51. Peffer, N., *China : the Collapse of a Civilization*, 25-32, Parmelee, 101, Legendre, 57.
52. Williams, S. Wells, i, 413, Wilhelm, *Short History*, 11.
53. Park, 85, G & H, 290.
54. Park, 67.
55. Latourette, ii, 206, G & H, 2-3.
56. Renard, 161.
57. Park, 92.
58. Summer, *Folkways*, 153, Latourette, i, 63.
59. *Ibid.*, 252.
60. Polo, 159, Carter, 77.
61. Carter, 92.
62. Hirth, 126f.
63. *Ibid.*,
64. Darter, 93.
65. Polo, 170n.
66. Legendre, 107-10.
67. Sarton, 871, 876, Schneider, ii, 860.
68. Sarton, 183, 410.
69. Waley, *Chinese Painting*, 30.
70. Schneider, ii, 837.
71. Voltaire, *Works*, iv, 82, Hirth, 119, Wilhelm, *Soul*, 306.
72. Garrison, 73, Schneider, ii, 859, Sarton, 810, 825, 842.
73. *Ibid.*, 436, 481, Garrison, 73.
74. Latourette, 813, Garrison, 75.
75. Williams, S. Wells, 785, Legendre, 56.
76. Wilhelm *Short History*, 79, 81; Smith, *Characteristics*, 290, 297; Spengler, O., *Decline of the West*, ii, 286, Garnet, 168, Latourette, ii, 168-5.
77. Smith, *Characteristics*, 392, Suzuki, 47, 112, 139, Wilhelm, *Short History*, 69.
78. Hirth, 81.
79. *Ibid.*, 118, Smith, 164, 331.
80. Oarent, 321.
81. Wilhelm, *Soul*, 125.
82. Legge, *Tests of Taoism*, i, 41.
83. Suzuki, 72, Wilhelm, *Short History*, 248.
84. Waley, *Chinese Painting*, 28.
85. Potter, Chas. F. *History of Religion*, 198.
86. Wilhelm, *Soul*, 857, Murnoch, iii, 104, Waley, 38-4, 79, Sarton, 470, Latourette, i, 171, 214, ii, 154-5, G & H, 104, Schneider, ii, 803.
87. Smith, *Characteristics.*, 89, Latourette, ii, 129, Parmelee, 81.
88. Smith, 304, Legendre, 191.
89. Wilhelm, *Short History*, 234, Lorenz, 202.
90. G & H, 118, 527.
91. Fenollosa, ii, 149.
92. Voltaire. *Works*, xiii, 29.
93. Quoted by Wilhelm in Keyserling-*Book of Marriage*, 137.
94. Mencius, IV, I, 26.
95. Latourette, ii, 197, Garnet, 321, Williams, S. Wells, i, 836, Legendre, 26.
96. Wilhelm, in Keyserling, 137, Wilhelm, *Soul*, 22, Wilhelm, *Short History*, 104, Smith, 213, 7.
97. Garnet, 245, Williams, S. Wells, i, 836, Westermarck, *Moral Ideals*, i, 462, Ellis, H., *Studies in the Psychology of Sex*, vol. II, *Sexual Inversion*, 6f.
98. Briffault, iii, 848.

99. *Ibid.*, Wilhelm in Keyserling, 126.
100. Williams, S. Wells, i, 834.
101. Brinkley, *China*, x, 101.
102. Polo, 184, 162, 235.
108. Parmelee, 182; Briffault, ii, 833.
104. Li-Po, 162.
105. Waley, 170 *Chinese Poems*, 19; Keyserling, *Travel Diary*, ii, 97.
106. Hirth, 116.
107. Williams, S. Wells, 785.
108. *Ibid.*, 787-90.
109. Wilhelm, in Keyserling, *Book of Marriage*, 134.
110. Briffault, ii, 263.
111. Williams, S. Wells i, 407-8.
112. Park, 133.
113. Wilhelm, *Short History*, 59; Wilhelm, in Keyserling, 128; Briffault, i, 362f.
114. Thomas, E.D., 134; Briffault, i, 368.
115. Granet, 43.
116. Briffault, ii, ii, 331.
117. Granmer - Byng, *The Book of Odes* 11; Gills, *History*, 108, 274.
118. Smith, 194, Sumner and Keller, iii, 1754, Legendre, 18.
119. *Li-Chi*, IX, iii, 7; Smith, 215; Sumner and Keller, ii, 1844.
120. In Briffault, ii, 331.
121. Waley, 170 *Chinese Poems*, 94.
122. Armstrong, 56.
123. Williams, S. Wells, i, 825.
124. Westermarck, *Moral Ideas*, i, 89. Keyserling, *Travel Diary*, ii, 65, Smith, 192, Legendre, ~ 122.
125. Wilhelm, *Soul*, 309.
126. Voltaire, *Works*, xiii, 19.
127. Brinkley, *China*, x, 37, 44, 49.
128. Smith, 225.
129. Thomas, E. D., 236, Williams, S. Wells, i, 504, Latourette, ii, 46.
130. Garrison, 75.
131. Williams, i, 391-2, Latourette, ii, 46.
132. Williams, ii, 512, Hirth, 125, Wilhelm, *Soul*, 19.
133. Brinkley, i.c., 3.
134. *Ibid.*, 78.
136. *Ibid.*, 92.
137. Williams, i, 544.
138. Legendre, 158, Hall, J. W., *Eminent Asinns*, 35.
139. Williams, i, 569.
140. Latourette ii, 21; Brinkley, *China*, x, 86.

الباب السابع والعشرون

1. Latourette, i, 813.
2. Lorenz, 248.
3. Latourette, i, 814.
4. Lorenz, 248, G & H, 233.
5. Norton, H. K., *China and the Powers*, 55, Latourette, i, 367, Poffer, 57,
6. Latourette, i, 376, Norton, 56.
7. Park, 149.
8. Peffer, 88f, Latourette, i, 413.
9. G & H, 306.
10. Hall, *Eminent Asians*, 17, Peffer, 151.
11. Latourette, i, 411.

12. Hall, 33.
13. Peffer, 98
14. G & H, 814.
15. N.Y. Times, Feb, 11, 1934.
16. Eddy, *Challenge of the East*, 78.
18. Park, 86.
19. Latourette, ii, 93-6.
20. Eddy, 74.
21. Park, 89.
22. Eddy, 89.
23. Peffer, 241.
24. Peffer, 251.
25. *Modern Review*, Calcutta, May 1, 1931.
26. Peffer, 185.
27. Latourette, ii, 174.
29. Ibid., 176.
30. Parmelee 94.
31. Park, 135, Lorenz, 192.
32. Wu, Chao-chu, *The Nationalist Program for China*, 28.
33. Legendre, 240.
34. Park, 114.
35. Close, Upton, *Revolt of Asia*, 245.
36. Lorenz, 250.
38. Hu Shih, 8.
39. Ibid., 7